

دروس العقيدة لأبي الخطاب العمرى

عناوين الدروس

الدرس الأول الجزء الأول (العلم والعقيدة وأهميتهما في حياة المسلم)

الدرس الأول الجزء الثاني (العلم والعقيدة وأهميتهما في حياة المسلم)

الدرس الثاني (التكليف وقيام الحجة)

الدرس الثالث (أول ما يلزم العبد اعتقاده)

الدرس الرابع (أصول أو مصادر الاعتقاد والتشريع)

الدرس الخامس الجزء الأول (منهج الاستدلال والاثبات العقائدي)

الدرس الخامس الجزء الثاني (منهج الاستدلال والاثبات العقائدي)

الدرس السادس (التوحيد ولازم التنزيه المطلق لله)

الدرس السابع (صفات الله الذاتيه والفعليه)

الدرس الثامن الجزء الأول (تنزيه الله عن رؤية المخلوقات لذاته)

الدرس الثامن الجزء الثاني (تنزيه الله عن رؤية المخلوقات لذاته)

الدرس التاسع (المعنى اللائق للاستواء)

الدرس العاشر (قضية خلق القرآن والقول الصحيح فيها)

الدرس الحادي عشر (معنى الميزان والصراط في القرآن)

الدرس الثاني عشر (الكفر وأقسامه)

الدرس الثالث عشر (التوبة ومصير المؤمن التقي والكافر الشقي)

الدرس الرابع عشر (معنى الشفاعة ولمن ستكون؟)

الدرس الخامس عشر (القضاء والقدر)

الدرس السادس عشر (الولاية والبراءة والوقوف)

الدرس السابع عشر (الإيمان بالملائكة والكتب والرسل جملة وتفصيلا)

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه الهداة التقاة وبعد،

العلوم الشرعية هي مجموعة من العلوم المختصة بالشرع الإسلامي، وقد نشأت هذه العلوم خلال فترات متتالية لتأسيس المدارس الفقهية والمدارس العلمية الأخرى منذ نزل القرآن الكريم على خاتم المرسلين النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وقد تطور العلم الشرعي عبر التاريخ بإضافة العلماء المسلمين وتفرع كثيراً إلى علوم متنوعة كثيرة أكثر من أن تُحصر، وقد ألف علماء الإسلام الملايين من الكتب لخدمة العلوم الشرعية عبر أكثر من ١٤٠٠ سنة. والعلم الشرعي نسبة للشرعية بمعنى: (ما شرعه الله على لسان نبيه من الأحكام).

أقسام العلوم الشرعية:

يمكننا أن نقسم العلوم الشرعية إلى قسمين : العلوم الأساسية (الأصلية)، والعلوم الآلية، فالعلوم الأساسية (الأصلية) : هي العلوم التي يتم استخراجها مباشرة من القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع المسلمين وفقه العلماء، والعلوم الآلية : هي علوم الآلات، أو العلوم المساعدة التي تساعد وتخدم العلوم الأساسية.

العلوم الأساسية (الأصلية):

العلوم الأساسية الأصلية أقسام:

١- العقيدة : وهو ما يتعلق بأركان الإيمان الستة : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبعض علماء المسلمين من الطوائف الإسلامية مثل (المعتزلة) و(الأشاعرة) وغيرهم يدخلون علم الكلام في علم العقيدة، متخذين من الكلام طريقاً للإستدلال العقلي، ولا شك أن العقيدة تختلف بين الطوائف المنتسبة إلى الإسلام كالسلفية والجهمية والمعتزلة والأشعرية الكلابية والماتريدية والصوفية، وقد يحصل بين الطوائف والعقائد، فقد يجتمع في العالم أن يكون أشعرياً وصوفياً في نفس الوقت.

٢- الفقه وهو: العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية. وما يتعلق بالمسائل والأحكام التفصيلية المكتسبة من أدلتها وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس. ويشمل: علم أصول الفقه، وعلم فروع الفقه والقواعد الفقهية ويبحث في موضوع فروع الفقه وهو ينقسم إلى قسمين : فقه العبادات، والمعاملات، والمذاهب الفقهية كثيرة وأشهرها المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، بالإضافة إلى مذاهب أخرى مثل: المذهب الظاهري، ومذهب الثوري، والليث بن سعد، والمذهب الزيدي، وغيرها من المذاهب الفقهية.

٣ - التفسير : وهو ما يتعلق بتفسير القرآن الكريم، وينضم إليه علوم القرآن : التجويد والقراءات والناسخ والمنسوخ وغيرها، والتفسير ينقسم إلى قسمين : التفسير بالمأثور، والتفسير باللغة.

٤ - الحديث: وهو يتعلق بالعلم بالأحاديث النبوية، وهو ينقسم إلى قسمين: علم الحديث رواية، وعلم الحديث دراية، ويندرج تحت علم الحديث: علم الرجال (الجرح والتعديل)، وعلم الحديث من أغزر العلوم الشرعية من حيث المصنفات والتأليف.

العلوم الآلية أو العلوم المساعدة:

وقد سبق لنا تعريفها قبل قليل.

والعلوم الآلية المساعدة تنقسم إلى أقسام :

١ - أصول الفقه : وهو يتعلق بأدلة الفقه الإجمالية كالأمر والنهي والعام والخاص والمطلق والمقيد والنسخ والمفتي والمستفتي.

٢ - القواعد الفقهية : وهو يتعلق بالقواعد الشرعية الشاملة التي تستخرج من الكتاب والسنة، ومن القواعد الفقهية : (الأصل في الأشياء الإباحة) و(الأصل في الأمر الوجوب).

٣ - اللغة العربية : وهو يتعلق بلغة العرب ويتفرع إلى علوم كثيرة (١٢ علماً) : النحو والصرف والأدب والشعر والاشتقاق وغيرها.

وهذه المبحث هو عبارة عن دروس في العقيدة قدمها الأستاذ أبو الخطاب العمري ولا يزال يقدمها في سبيل نشر العلم بين الناس بالطريقة الحديثة المتوفرة والسهلة عبر الانترنت والهاتف فليبارك المولى جهوده وأعانه على نشر العلم وسهل له مبتغاه .

** المقدمة منقولة وليست من كلام أبي الخطاب العمري.

الدرس الأول الجزء ١

العلم والعقيدة وأهميتهما في حياة المسلم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه الهداة النقاة وبعد،،

نبدأ بمشيئة الله الدرس الأول من دروس العقيدة الإسلامية، وبداية مدخلنا في أبواب الدروس سيكون من باب العلم والعقيدة وأهميتهما، وذلك لأهمية هذا الباب، ونبدأ بالعلم ونقول مستعينين بالله العليم:

المدخل الأول: العلم

العلم: ضد الجهل ونقيضه، ومعناه إدراك الشيء على حقيقته.

وللعلم شرف عظيم تتجلى حقيقته في المرتبة التي يرتقي إليها المتعلم عن غيره، فقد وصف الله في كتابه العزيز علو شأن العلم وأهله بين الخلق قائلاً:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات).

وقال تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم).

وقال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون).

وقال تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)

وغيرها الكثير من الآيات الدالة على فضل أهل العلم على غيرهم.

ينقسم العلم إلى علم قديم وعلم محدث:

١ - العلم القديم: هو علم الله الأزلي الذي لم يسبقه عدم.

٢ - العلم المحدث: هو علم المخلوق الذي لا يكون إلا باكتساب ومزاولة ومحاولة، ومحدثاً لأنه مسبوق بعدم وجهل.

ينقسم العلم المحدث إلى (علم ضروري) و(علم نظري) ويخرج من ذلك علم الله القديم لأنه صفة ذاتية لله تعالى.

1 - العلم المحدث الضروري: هو العلم الذي لا يحتاج إلى نظر وتأمل، وذلك لمعرفتنا به مسبقاً.

مثال ذلك: لو سئل أي شخص عن عدد الصلوات في اليوم؟ بالتأكيد لن يطلب من سائله أن يمهل يوم للنظر والتأمل في عدد الصلوات ليأتي بالإجابة، بل جوابه سيكون حاضراً في وقتها عند طرح السؤال.

وكذلك لو سئل أي مكلف عن عدد ركعات صلاة الفجر أو العصر أو غيرها من الصلوات أو سئل عن اسم الشهر الذي فرض فيه الصوم أو اسم الشهر الذي فرض فيه الحج؟ فالجواب سيكون حاضراً دون الحاجة إلى تأمل ونظر، فكل ما تم معرفته هو من قبيل العلم الضروري.

2 – العلم المحدث النظري: هو العلم الذي يحتاج إلى تأمل ونظر لعدم معرفتنا به مسبقاً.

مثال ذلك: معرفة تفاصيل الفرائض وأحكامها كعلم المواريث ونصاب الزكاة وغيرها من العلوم التي تحتاج إلى تأمل ونظر.

وقد يكون العلم الضروري من حيث الأصل داخل في باب العلم النظري بدايةً.

وعليه فإننا نستخلص من هذا كله أن الشيء الذي تجهله هو من أقسام العلم النظري ، وأما الشيء الذي تعلمه هو من أقسام العلم الضروري.

العلم الضروري والنظري الاعتقادي والعلمي:

ينقسم العلم الضروري والنظري في الشرع من جهة التعبد إلى:

1 – علم ضروري اعتقادي وعملي.

2 – علم نظري اعتقادي وعملي.

أولاً: العلم الضروري الاعتقادي والعلمي:

هو تكليف العبد معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة ما جاء به من الحق ومعرفة كل ما قامت به الحجة من العقائد.

وأما الضروري العملي: فهو معرفة الفرائض كالصلاة والصوم، ومعرفة المنهيات وغيرها مما قامت الحجة على المكلف بها.

ثانياً: العلم النظري الاعتقادي والعلمي:

هو العلم الذي يتحصل بعد النظر والتأمل والاستدلال كنفى الرؤية وخلود من دخل النار.

وأما النظري العملي فهو كمعرفة مسائل الحلال والحرام وتفاصيل الفرائض من العمليات كتفاصيل الصلاة والصيام والزكاة عند قيام الحجة على المكلف بذلك.

العلم في تقسيم آخر في الشرع ينقسم إلى واجب ومندوب، فالواجب هو علم كل ما لا يسع جهله على المكلف عند قيام الحجة، والعلم المندوب هو ما يسع جهله على المكلف ما لم تقم الحجة به، ومن طلبه فهو كالنافلة يثاب طالبه.

وختاماً نحمد الله على تمام فضله، ونعيم كرمه وإحسانه ومنه.

ملخص النقاط التي تحدث عنها الدرس:

١. العلم وقد اخترنا بداية العلم كمدخل للدروس لأهميته لأنه أساس لما يبني عليه من الاعتقادات والأعمال.
٢. تعريف العلم جاء مختصراً ومبسوطاً لأن اختصار التعريفات أفضل للعقول مبدئياً.
٣. إيراد أدلة قرآنية في فضل العلم ومنزلة العلماء بين الناس.
٤. ينقسم العلم بشكل عام إلى قديم ومحدث.
٥. ينقسم العلم المحدث إلى ضروري ونظري.
٦. العلم الضروري والنظري في الشرع ينقسم إلى علم ضروري اعتقادي وعملي وتركبي وإلى علم نظري اعتقادي وعملي وتركبي.
٧. في تقسيم آخر من جهة التعبد في الشرع ينقسم العلم إلى واجب ومندوب.

النقطة الأولى:

١. العلم وقد اخترنا بداية العلم كمدخل للدروس لأهميته لأنه أساس لما يبني بعده من الاعتقادات والأعمال.

الشرح:

كما قلنا العلم هو أساس الشيء بل يعتبر في الشرع عندنا من قواعد الدين لأن ما بعده من العقائد والعمليات تبنى عليه وليس على الجهل.

فعلى سبيل المثال: الشخص الذي تعلم صلاته بأركانها وسننها وتفصيلها من حيث أحكامها وأحكام ما يفسدها لا يساوى بمن لا يعرف من صلاته إلا الألفاظ والأفعال التي حفظها.

فهذا يسمى في ميزان الشرع عامي. لأن الشخص الأول أعلم منه في ميزان الشرع وله أجر بسبب علمه لا يناله الشخص الثاني.

وكذلك الصوم والزكاة وغيرها من الأعمال فمن كان لديه العلم بتفصيلها وأحكامها فهو أفضل ممن لا علم له بتفاصيل تلك الأعمال.

فلهذا نحن نقول إنكم بتعلمكم علم العقيدة ستتميزون عن بعض الأشخاص في هذا العالم وذلك بارتقاءكم مرتبة أعلى منهم عند الله تعالى.

وكذلك ستخرجون من دائرة مسمى العوام إلى دائرة طلاب العلم الشرعي. وللعلم:

في المصطلح الشرعي الشخص الذي يكون عنده علم شرعي سواء كان في العقيدة أو الفقه فلا يطلق عليه عامي.
وأما الشخص الذي لا يكون عنده علم في الشرع يعد من العوام ولو كان طبيباً متخرجاً من الجامعات أو مهندساً أو وزيراً أو يحمل أكبر شهادة في العالم بما أنه لم يتعلم علم الشريعة فهو يعد من العوام مثله مثل أي شخص بسيط بلا شهادة لا يملك علم شرعي.
فلهذا كان للعلم أهمية كبيرة في الإسلام بل وحتى في الإنسانية والأمور الحياتية، لأنه مفتاح لكل شيء.

النقطة الثانية:

٢. تعريف العلم جاء مختصر أو مبسطاً لأن اختصار التعريفات أفضل للعقول.

الشرح:

التعريفات.. سواء كانت لغوية أو اصطلاحية أو شرعية، الأفضل أن تكون مبسطة ومختصرة وهذا هو منهجنا في هذه الدروس.

بمعنى آخر.. دع عقلك يأخذ المعلومة بالتدريج وتكون مبسطة ومختصرة.

لأن العقل بداية يرتاح للشيء الخفيف والمبسط وهذا ما يوصي به العلماء عندما تريد أن تتلقى معلومة، ابدأ بالمختصرات والمبسطات ولا تقحم نفسك في المطولات والمعجمات كي لا تغرق.

ومن المعلوم أن العقل بعد أن يستوعب ما تقذف فيه من معلومة مبدئية سيكون مهياً ليأخذ ما بعدها من المعلومات.
فالعلم باختصار هو إدراك الشيء على حقيقته.

ومثال ذلك أنت الآن تصلي مثلاً العصر أربع ركعات وقد تصورت في عقلك كيفية هذه الصلاة في أفاضها وحركاتها لأنك تأتي فيها بالتوجيه والفتحة والتسبيح والركوع والسجود والتشهد والتسليم.
فأنت عندك علم بصلاة العصر أي تعلم حقيقتها.

النقطة الثالثة:

٣. إيراد أدلة قرآنية في فضل العلم ومنزلة العلماء بين الناس.

الشرح:

طبعاً لن نكتب الآيات مجدداً فهي موجودة في الدرس.

المهم أن فيها دلالة عظيمة على منزلة العلم والعلماء ولا يمكن إنكار ذلك.

وهناك أدلة من السنة أيضاً ولكن اكتفينا بآيات من القرآن.

وإنما أردنا فقط بهذه الآيات أن نستدل على مرتبة العلم والعلماء وفضلهم بين الناس، وكذلك تشجيعاً لنا لطلب العلم الشرعي لأنه هو العلم الأول الذي ينبغي لأي مسلم مكلف أن يطلبه.

النقطة الرابعة:

٤. ينقسم العلم بشكل عام إلى : قديم و محدث.

الشرح:

يجب أن نعلم أن العلم في الأساس ينقسم إلى علم قديم وعلم محدث.

فما هو العلم القديم وما هو العلم المحدث؟

أولاً.. العلم القديم:

المقصود بالعلم القديم هو علم الله لأنه لا يجوز أن يوصف بهذا العلم إلا الله فقط لأنه صفة ذاتية له.

ومعنى أزلي أي أن علم الله ليس له بداية وليس له نهاية.

وسمي قديم أي أن الله اتصف بهذا العلم منذ الأزل.

باختصار: قديم يعني أزلي

وبمعنى آخر.. أن علم الله لم يسبقه عدم كعلم المخلوق.
نأخذ مثال ليتضح المقال:

الإنسان قبل أن يولد هل كان علمه موجود؟

الجواب: لا طبعاً.

نفهم من هذا أن علمه قبل أن يولد كان في العدم.

فلا يقال الإنسان علمه قديم لأنه سيناقض بهذا القول الواقع الذي يقول أن الإنسان لم يكن موجود وعلمه كذلك لم يكن موجود.

ثانياً.. العلم المحدث:

قلنا :أن العلم القديم لا يتصف به إلا الله فقط.

والقديم ضد المحدث.

والعدم ضد الموجود.

إذن العلم المحدث هو العلم الذي سبقه العدم ولا يتصف بهذا العلم سوى المخلوق كالإنسان مثلاً، ومن صفات العلم المحدث أنه لا يمكن أن يتصف به الإنسان إلا بدايته جهل.

فالإنسان يولد جاهلاً لا يعلم شيء وبعد ذلك يبدأ يكتسب العلم بالتدريج شيئاً فشيئاً ويكون هذا العلم بمزاولة منه ومحاولة لكسبه.

ومن الأمور التي يتصف بها الإنسان أن ما يجهله نسبته أكبر أو أكثر مما يعلمه.

فعلى سبيل المثال: من يتعلم هندسة فهو يجهل الكثير من العلوم كالفلك والفيزياء والطب والتاريخ والعمران وغيرها من شتى العلوم.

وباختصار..

نستنتج من هذا أن علم الله القديم هو علم مطلق.

وعلم الإنسان المحدث هو علم محدود لأنه مبني على عدم وجهل مسبق.

النقطة الخامسة:

٥. ينقسم العلم المحدث إلى ضروري ونظري.

الشرح:

طبعاً العلم المحدث وهو علم الإنسان مثلاً ينقسم كما قلنا إلى: ضروري ونظري.

فما هو العلم الضروري وما هو العلم النظري؟
العلم الضروري:

كما وضحنا في الدرس هو العلم الذي لا يحتاج إلى تأمل.

لأننا في الأصل نعرفه مسبقاً.

ومثال ذلك.. لو سألتك الآن

$$١ + ١ = ...$$

بالتأكيد لن تحتاج إلى طلب وقت للإجابة، وذلك لمعرفتك بالإجابة مسبقاً. فلن تحتاج إلى تأمل في

معرفة الجواب
مثال آخر:

لو سألت هل نصلي العصر قبل الظهر أم الظهر قبل العصر؟

فبالتأكيد الجواب سيكون حاضراً ولا يحتاج لتأمل ونظر.

ولا أظن سيقول أحدكم أمهلنا إلى الغد حتى نجيب على السؤال لأن السؤال لا يحتاج إلى نظر وتأمل.

فهذا يسمى علم ضروري لأنكم علمتموه مسبقاً فهذا لا يحتاج إلى نظر وتأمل.
أما العلم النظري:

فهو العلم الذي يحتاج إلى تأمل.

مثال ذلك:

لو مثالا طرحت مسألة حسابية:

$$98987656 \div 3748576 = \dots$$

طبعاً لا أظن أن الجواب سيكون حاضراً مباشرة وإنما ستطلبون وقتاً للنظر والتأمل في الجواب

أما إذا يوجد واحد يعرف الجواب مباشرة دون تأمل فسيكون هذا العلم بالنسبة لها ضروري وليس نظري.

وأما من لا يعرف الجواب فهو بحاجة إلى تأمل ونظر لمعرفة الجواب.

كذلك في الشرع كتفاصيل الصلاة وتفاصيل الزكاة وتفاصيل الحج وأحكام هذه الفرائض وغيرها هي من باب العلم النظري الذي يحتاج لتأمل ونظر.

النقطة السادسة:

٦. العلم الضروري والنظري في الشرع ينقسم إلى: علم ضروري اعتقادي وعملي وتركبي وإلى علم نظري اعتقادي وعملي وتركبي.

الشرح:

طبعاً الآن نتكلم في هذا العلم من جهة الشرع.

كما هو معلوم أن الدين هو: عبارة عن عقائد وأعمال.

والأعمال تنقسم في الشرع إلى: واجبات ومنهيات.

الواجبات هي: الفرائض كالصلاة والصوم والزكاة والحج والعمرة وغيرها مما فرضه الله علينا.

أما المنهيات هي: كل ما نهانا الله عن إتيانها كالمحرمات والفواحش سواء كانت هذه المحرمات أفعالاً أو أقوالاً. وكذلك يطلق عليها بالتركيبات أي ما يجب على المكلف تركه من الأفعال والأقوال.

نأتي الآن إلى العلم الضروري والنظري.

هنا هذا العلم ينقسم من جهة الشرع إلى:

أولاً: علم ضروري اعتقادي وعملي وتركّي.

والمقصود من هذا الكلام أن هناك علم ضروري اعتقادي لا يسع جهله كمعرفة الله ومعرفة رسله وكتبه وملائكته.

ومعنى لا يسع جهله أي: لا يمكنك جهله عند قيام الحجة به عليك.

وكذلك هناك علم ضروري عملي لا يسعك جهله عند قيام الحجة.

وكذلك هناك علم ضروري تركّي لا يسعك جهله عند قيام الحجة.

ثانياً: علم نظري اعتقادي وعملي وتركّي.

والمقصود بهذا الكلام أن هناك علم نظري اعتقادي يحتاج إلى تأمل واستخلاص الأدلة الدالة عليه كعقيدة نفي رؤية الله وعقيدة خلود العصاة الموحدين الذين ماتوا بلا توبة.

فهذه العقائد تحتاج إلى نظر وتأمل لإثباتها. ولا يسع جهلها بعد قيام حجتها على المكلف. وكذلك هناك علم نظري عملي كمعرفة تفاصيل الصلاة والصيام وغيرها من الفرائض التي تحتاج في معرفتها إلى تأمل ونظر عند قيام الحجة.

وكذلك هناك علم نظري تركّي كمعرفة أحكام المحرمات والفواحش التي تحتاج إلى تأمل ونظر عند قيام الحجة.

للتنبية.. هنا في النقطة السادسة نتكلم عن العلم الضروري والنظري من جهة الشرع.

النقطة السابعة والأخيرة:

٧. في تقسيم آخر من جهة التعبد في الشرع ينقسم العلم إلى واجب ومندوب.

الشرح:

هذا التقسيم هو مجرد مفهوم آخر مبسط لما قبله من التقسيم الذي في النقطة السادسة.

لأن علم الشريعة في الأصل هو فيه علم واجب على المكلف وكذلك فيه علم مندوب. فهناك من الدين واجب على المرء تعلمه إن وجد المعبر قريباً منه.

والمقصود بالمعبر هو: العالم الذي تفهم ما يعلمك إياه.

وإن كان بعيداً ترحل إليه إن وجدت الراحة
أما الآن الأمور ميسرة ولا يحتاج من المسلم أو المسلمة إلى راحة أو تعب لأن وسائل إيصال العلم لمن يطلبه أصبحت سهلة.

فيستطيع المرء أن يتعلم وهو في بيته ولا حجة لمن يتعذر الآن بصعوبة أو مشقة في طلب العلم.

طبعاً العلوم الشرعية الواجبة هي كما قلنا التي لا يسع جهلها عند قيام الحجة. مثلاً لو شخص أصبح مكلف بالصلاة فيلزمه تعلمها حين يأتي وقتها.

ولو قامت عليه الحجة بصوم رمضان فيلزمه معرفة الصيام وأحكامه.

ولو قامت عليه الحجة في دفع زكاة يلزمه معرفة قيمة ما يدفعه عند مجيء وقتها وكذلك باقي المفروضات.

فهذه كلها من العلوم الواجب تعلمها ومن جهلها لن يكون الجهل عذراً له عند الله يوم القيامة.

أما العلم المندوب هو: العلم الذي لا يعاقب تاركه كعلم تفاصيل الميراث وتفاصيل الزكاة ومقدارها فيكفي في تعلمها، أن يتعلمها بعض الناس.

ولكن من تعلمها فهو مأجور عند الله على ذلك. لأنها تعد كالنافلة.

مثلاً... كالصلاة المفروضة هي واجبة وأما النافلة فليست واجبة ولكن من صلى نافلة فهو مأجور على ذلك وكذلك العلم المندوب الذي لا يلزم العبد تعلمه، فمن تعلمه فله أجر عند الله.

وختاماً نحمد الله على تمام فضله، ونعيم كرمه وإحسانه ومنه..

الدرس الأول الجزء الثاني

العلم والعقيدة وأهميتهما في حياة المسلم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه الهداة التقاة وبعد،،
نكمل بحول الله وقوته الجزء الثاني من الدرس الأول وسيدور حول الجهل وأقسامه والعقيدة وأهميتها.

أولاً: الجهل

وهو نقيض العلم: واصطلاحاً إما أن يكون جهلاً بسيطاً أو جهلاً مركباً.
أما الجهل البسيط: فهو عدم العلم بالشيء أصلاً.
وأما الجهل المركب هو: اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه وسمي بالمركب لكونه يجهل الشيء ويجهل أنه جاهل بذلك الشيء.
وحكم القسمين من الجهل هو:

أن الجهل البسيط سالمٌ صاحبه لأنه أصلاً لم يتصور الشيء ولم يخطر بباله.
وأما المركب فإن كان جهله هنا مما لا يسع جهله فصاحب الجهل هنا آثم، وإن كان جهله المركب هنا في شيء مما يسع جهله فسالمٌ صاحبه لأنه لم يكلف بعلمه.

ثانياً: العقيدة:

العقيدة لغة: من العقد، وهو الربط أو الإحكام والتوثيق أو الشد بقوة أو التماسك والإثبات، ونقيض العقد الحل.

العقيدة اصطلاحاً: هي الأمور التي يصدق بها القلب تسليماً لها وتطمئن لها النفس دون أن يخالطها شك أو ريب.

وبمعنى آخر: هو الإيمان الجازم الذي لا يطرقه أو يتخلله شك أو ريب.

فائدة:

العقيدة في الإسلام: هي الإيمان الجازم بالله وأنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله وعبادته، والإيمان بما يترتب من ذلك من الإيمان بالرسول والأنبياء والملائكة والكتب واليوم الآخر والقضاء والقدر وكل ما قامت به الحجة من الإيمانيات.

أهمية العقيدة:

هل العقيدة مهمة في حياة المسلم؟

الجواب: نعم... لأن أول ما يلزم المكلف من الفرض هو توحيد الله، وتوحيد الله هو أعظم أبواب العقيدة؛ لأن ما بعده يندرج تحت مفهومه.

وقد جاء من السنة ما يشير إلى ذلك، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما كما في مسند الإمام الربيع بن حبيب رضي الله عنه أنه قال:

خرج رسول الله صل الله عليه وسلم ذات يوم إلى المسجد، فوجد أصحابه عزين يتذكرون فنون العلم، فأول حلقه وقف عليها وجدهم يقرءون القرآن فجلس إليهم فقال: "بهذا أرسلني ربي" ثم قام إلى الثانية فوجدهم يتكلمون في الحلال والحرام، فجلس إليهم ولم يقل شيئاً، ثم قام إلى الثالثة فوجدهم يذكرون توحيد الله عز وجل ونفي الأشباه والأمثال عنه، فجلس إليهم كثيراً، ثم قال: "بهذا أمرني ربي" قال جابر بن زيد: لأن التوحيد معرفة الله عز وجل ومن لم يعرف توحيد الله فليس بمؤمن.

عزين : متفرقين، يعني أنهم كانوا على حلقات متفرقة في المسجد.

الحديث فيه دلالة واضحة على أهمية العقيدة في المرتبة الأولى، فالنبي عليه الصلاة وأزكى التسليم عندما مر على الحلقتين الأولى والثانية كان جلوسه فيهما الشيء القليل وعندما قام إلى الثالثة وجدهم يتكلمون في أعظم أبواب العقيدة وهو معرفة توحيد الله فجلس إليهم كثيراً ثم قال: هذا ما أمرني به ربي وهذا هو أساس بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم علق الإمام جابر بن زيد راوي الحديث عن ابن عباس أن التوحيد معرفة الله عز وجل ومن لم يعرف الله فليس بمؤمن.

وهذا كلامٌ صحيح لأن الإيمان الحقيقي هو الجزم بوحداية الله في الذات والصفات والأفعال والعبادة ومن لم يكن موحداً لله سقط أيمانه.

وختاماً نحمد الله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن الله وحده وما كان من خطأ فمني والشيطان.

ملخص نقاط الدرس:

النقطة الأولى:

تعريف الجهل وقسميه البسيط والمركب.

النقطة الثانية:

حكم الجهل البسيط وحكم الجهل المركب في الشرع.

النقطة الثالثة:

العقيدة وأهميتها في حياة المسلم والأثر الذي تتركه واقعا ومشاهدا.

الدرس بسيط جدا في ألفاظه ومعانيه.

النقطة الأولى:

تعريف الجهل وقسميه البسيط والمركب.

الشرح: عرفنا العلم في الدرس السابق وهو إدراك الشيء أو اعتقاده على حقيقته تطابقا مع الواقع.

وأما الجهل فهو إدراك أو اعتقاد الشيء على خلاف حقيقته أي خلاف ما هو عليه، وعلى هذا المعنى فهو يعتبر من صفات النقص مقارنة بمن يعلم الشيء على حقيقته.

قلنا أن الجهل ينقسم: إلى جهل بسيط و جهل مركب.

الجهل البسيط: هو عدم العلم بالشيء أصلا، بمعنى آخر أن من يتصف بهذا الجهل إدراكه للشيء منتقي عنه كليا.

مثال على ذلك:

لو سألت هذا الشخص ما حكم صيام من أكل في نهار رمضان بعذر؟

وأجاب قائلا: لا أعلم فهذا جهله بسيط.

وقد أراح باله

أو مثلا: سألته ما حكم من صلى الصلوات الخمس بثوب فيه بقعة دم متعمداً؟

وأجاب قائلا: لا أعلم فهذا جهله بسيط.

أما الجهل المركب:

فهو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، أو كما عرفه بعضهم باعتقاد ما هو غير مطابق للواقع، ويجهل أنه جاهل بهذا الشيء.

وأطلق عليه بجهل مركب لأنه مركب من أمرين.

قلنا الجهل المركب يتكون من أمرين:

الأمر الأول: هو عدم إدراكه بالشيء أصلاً وهو الجهل البسيط.

والأمر الثاني: يعتقد ما هو مخالف للواقع أو الحقيقة جهلاً منه بذلك ويظن أنه مطابق للواقع.

ومثال ذلك: لو سألته ما حكم من أكل في نهار رمضان بعذر؟

سيجيب مثلاً: يكمل صيامه وليس عليه قضاء.

أو مثلاً: سألته ما حكم من صلى الصلوات الخمس بثوب فيه بقعة دم متعمداً؟

سيجيب مثلاً: صلاته صحيحة ولا قضاء عليه ظناً منه أن الدم لا يفسد الصلاة.

وهذا كله جهل مركب لأنه يخالف واقع الأحكام التي شرعت.

كذلك هناك أمر مهم: بعض الناس تلاحظ فيهم هذا الجهل واضح في تصرفاتهم فتجد فيهم الغرور.

والغرور سببه الرئيسي هو الجهل المركب الذي يتصف به هذا المغرور وهذا الوصف شائع عند كثير من الناس.

سواء في مظهره أو سلوكه أو تصرفاته فتجده لا يتقبل أن يقال له هذا خطأ لأنه يظن أن ما يبيده من مظهر أو تصرف أو سلوك أو رأي هو الصحيح.

والعجيب أن بعض الناس حتى وإن أتيت لهم بالدليل الشرعي أنهم مخطئون ويخالفون الشرع لا يتقبلون ولا حتى ينظرون إلى الدليل الذي أتيت به.

وبعضهم يستصغرون غيرهم عند عدم قبول النصيحة أو الصواب وكله غرور مبني على جهل مركب.

وقد تجد مثل هؤلاء يفتنون لأنفسهم بصواب ما هم عليه من تصرفات مماشاة للعصر والتقدم وغيرها من الأسباب السقيمة، وما هو إلا هلاك لهم إن لم ينتبهوا لحالهم.

وقيل في تعريف آخر للجهل البسيط والمركب:

أن الشخص إذا تصور الشيء على خلاف هيأته ولم يجزم به بتصوره فهو الجهل البسيط.

وإن جزم بالشيء حين تصوره فهو الجهل المركب.

ولهذا قال بعضهم إن انتفاء العلم أي عدم خطور الشيء أو تصوره لا يسمى جهلاً.

بمعنى أن بعضهم عرف الجهل البسيط هو تصور المعلوم على خلاف هيأته.

طبعا هذا القول نقله الإمام السالمي في مشارق الأنوار، وهو تعريف آخر للجهل البسيط والجهل المركب عند بعض العلماء.

وهو تعريف سائغ.. لماذا؟

لأن بعض العلماء قالوا من لم تقم الحجة عليه في شيء من العقائد أو العمليات لا يسمى جاهلا أصلا.

وهذا كلام فيه شيء من الصحة في نظري.

للعلم وللفادة

طبعا هذه التقسيمات للجهل المركب خصوصا تفرعت منها أمورا كثيرة وتقسيمات عدة ذكرها الأمام السالمي في المشارق.. ولكن سماحة الشيخ أشار إلى أن هذه التفرعات التي بنيت نتيجة هذه التقسيمات فيها نظر.

من أراد أن يقرأ المزيد في التفصيل فعليه بكتاب المشارق..

ولو أن هذا المختصر فيه كفاية ولكن من أراد زيادة في العلم فعليه بهذه الكتب.

النقطة الثانية:

حكم الجهل البسيط وحكم الجهل المركب في الشرع.

الشرح:

الجهل البسيط بما أن صاحبه لم يخطر بباله ولم يتصور الشيء فهو سالم غير مذنّب.

هذا إذا ما لم تقم الحجة عليه به كعلم ما لا يسع جهله به من العقائد والعمليات.

فإن قامت الحجة عليه بمعرفة الله ومعرفة رسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر أو أداء الفرائض هنا سيتحول جهله إلى علم واجب كما أشرنا في الدرس السابق.

انتبهوا لهذا الكلام.

أما الجهل المركب:

فإن كان جهله في ما يسع جهله سواء قامت الحجة به أو لم تقم فصاحبه معذور.

وإن كان جهله المركب في ما لا يسع جهله من معلوم من الدين بالضرورة بعد قيام حجته فصاحبه هالك لأنه اعتقد على غير حقيقته جازما به ظنا منه أنه حق وهو في الحقيقة جاهل به.

وهذا الجهل هو الذي ابتليت به الأمة قديما وحديثا في عقائدهم وقد ترتب عليه ضلال ومجانبة عن الحق وتفرقت الأمة بسببه إلى مذاهب عده.

بل حتى المذاهب بعضها تفرقت إلى مذاهب ونسب كل مذهب لنفسه الصواب.

بل وحتى المعاصي التي يرتكبها البعض هي نتيجة الجهل المركب الذي تم التأصيل له في كتب العقائد وكتب الفقه وقام بترجمته العوام كواقع في حياتهم دون رادع وقد يتعذروا بما سطره علمائهم في كتبهم نتيجة جهلهم المركب بدين الله.. والله الأمر.

وسيأتي بيان هذا في دروسنا القادمة وسنكشف عن الخطأ الذي وقع فيه البعض نتيجة هذا الجهل.

النقطة الثالثة:

العقيدة وأهميتها في حياة المسلم والأثر الذي تتركه واقعا ومشاهدا.

الشرح:

من المعلوم أن العقيدة بمفهومها الشرعي لها أهمية في حياة المسلم.

لأن ما يختزنه الإنسان في قلبه من معتقد قد يكون باطلا أو حقا، وعليه يترتب عمل الإنسان من سلوك وتصرفات وأعمال وأقوال.

فالعقيدة التي تدعوا صاحبها إلى الشرك بالله أو الانحراف في الأخلاق والسلوك هي عقيدة باطلة.

والعقيدة التي تدعوا إلى توحيد الله والتمسك بالأخلاق التي دعا لها الإسلام والتصرفات الحسنة هي العقيدة الصحيحة.

وما نراه من تصرفات الأشخاص أقوالا وأفعالا هي نتيجة ترجمة لما يكنه في قلبه من معتقد.

العقيدة لا يمكن أن ينكر أهميتها أحد لأنها السبيل الوحيد للنجاة ويظهر هذا في عدة أمور، منها أن جميع الرسل أرسلهم الله لدعوة الناس إلى العقيدة الصحيحة.

قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون).

وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت).

سأقتصر على هذا لسهولة الدرس وبساطته.

سؤال.. هل يعني الجهل المركب يلزم على المرء تعلم جميع الأحكام خاصة مثل الصلاة؟

الجهل المركب خطير، لأنه يؤدي بصاحبه إلى التكلم في ما ليس له به علم.

نحن لا نقول أنه يلزمه تعلم كل أحكام الصلاة وإنما يلزمه تعلم ما قامت به الحجة عليه من أحكام الصلاة.

مثلا صلى العصر وبعد الصلاة وجد بقعة دم في ثوبه، فهنا يلزمه معرفة حكم صلاته بذلك الثوب.

ولكن قبل ذلك لا يلزمه.

سؤال: اضرب لنا مثالا ع الجهل المركب ويعذر فيه صاحبه.. لان هناك من يقول لا جهل في الدين!!

هذا إن كان جهله في ما يسع جهله وإما إن كان في ما لا يسع جهله فلا عذر له.

على سبيل المثال.. معرفة حساب الميراث التي يتفرع منها الورثة ولم يأتي فيها نص.

سؤال : كبار السن لا ينفع معهم إلا الدليل العقلي فقط..

ممكن توضيح؟؟ و كيف يتم التعامل معهم في هذه الحالة؟؟!

كبار السن قد لا يتقبلون ما يناقض رأيهم، ولكنهم يستسلمون أمام ما يناقض عقلهم.

طبعاً أنا لا أعمم، فالتعامل معهم يكون بالعقل عند استخدام الدليل.

سؤال : كيف يمكننا التعامل مع الشخص ذو الجهل المركب يعني هل نعرض عنه ونتركه لحال سبيله وندعو له بالهداية بالرغم من اننا اتينا إليه بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة ولكن لايزال مقتنع برأيه ونحن صرنا نخاف أن يؤثر بكلامه على الأشخاص ذوي الجهل البسيط ويقنعهم لصحة كلامه .

ام ماذا نفعل؟؟

أغلب من يتصفون بهذا الجهل هم أهل جدال.

إن لم يقتنعوا يتركوا والله يتولى أمرهم.

أنت عليك البلاغ وكفى والهداية بيد الله.

أما إن قاموا باضلال الغير فإثم من أضلوه في رقابهم.

وعليك الإصلاح ما استطعت وكفى

خذوها قاعدة..

عليكم الإصلاح ولو بكلمة ولا تنتظروا النتيجة، لأنها قد تأتي بعد حين.

سؤال: يؤثم صاحب الجهل المركب لجهله مما لا يسع جهله... هل يشمل الفرائض ومعرفة الحلال والحرام؟

الفرائض والحلال والحرام من المسائل التي لا يسع جهلها عند قيام الحجة.

الفرائض والحلال والحرام إن قامت حجتها تصبح علما واجبا على المكلف.

تنبيه:

هذه الجمل كقولنا مثلا (قيام الحجة) ستتكشف معانيها في درسنا القادم وكذلك غيرها من الكلمات ستتكشف معانيها في الدروس القادمة ؛ فالدروس متصلة ببعضها في كلماتها ومعانيها.

الدرس الثاني

التكليف وقيام الحجة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه الهداة التقاة وبعد،،

الباب الأول: التكليف

من المعلوم أن الله تعالى لم يخلق الإنس والجن عبثاً "تعالى الله عن ذلك" ودون هدف أو غاية لخلقهم ووجودهم في الكائنات، وإنما الغاية الأسمى من خلقهم هو كما وضع ذلك الله تعالى في كتابه الكريم حيث قال: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون). فالغاية هي العبادة خالصة لله وحده، وإعمار الأرض ليتقوى من كل النواحي على هذه العبادة، فلهذا أصبح الكل مكلف بما شرعه الله عليه عند قيام الحجة بواجبات ومنهيات لا يسعهم جهلها بقيام حجتها.

إذاً ما هو التكليف؟

ومن هو المكلف؟

ومتى يكون مكلفاً؟

التكليف: في اللغة هو إلزام العباد أو تحملهم ما يشق على أنفسهم فعله.

والتكليف اصطلاحاً: هو إلزام العباد العقائد والعمليات من واجبات وترك المنهيات عند قيام الحجة بها ويترتب على ذلك الثواب للمطيع والعقاب للمسيء.

أما المكلف: فهو العبد الذي وصل حد التكليف.

وللتكليف شروط أربعة وهي:

1- العقل: وهذا يعني أن المجنون غير مكلف لفقدانه عقله.

2 - البلوغ: وله علامات سواء للذكر أو الأنثى وهناك من العلامات ما هو خاص بالأنثى أو الذكر وهناك ما هو مشترك بين الجنسين.

ومن أراد أن يزيد في هذا الأمر فليرجع لكتب الفقه ككتاب (نتائج الأقوال من معارج الآمال) للشيخ سعيد بن حمد الحارثي رحمه الله.

وإن لم تظهر علامة من علامات البلوغ ووصل المكلف سن الخامسة عشر على القول الصحيح أو السابعة عشر على قول آخر فقد قامت الحجة عليه بالتكليف، فأصبح غير معذور عند وجوب العقائد أو الفرائض عليه عند قيام الحجة عليه بشيء منها.

3 - قيام الحجة: وتقوم الحجة إما بالعقل أو النقل (القرآن والسنة).

4 - عدم وجود المانع: أي عدم وجود العذر الذي يمنع من الإتيان بما قامت به الحجة من العمليات، فإن كان هناك مانع سقط عنه التكليف في ذلك الواجب.

الباب الثاني: قيام الحجة

وهي كما وضحنا إما أن تكون عقلية أو نقلية

(القرآن والسنة) أو كما يطلق عليه البعض بوجود المبلغ.

أما من ناحية قيام الحجة بالعقل فلا تكون إلا في التوحيد وهو معرفة وجود الله ومعرفة كمالاته، فالإنسان إن كان عاقلاً فعقله يدرك أن للكون إله وصانع وكذلك يدرك أن هذا الإله يتصف بصفات كالحيوة والقدرة والعلم وأنه خالق وغيرها من الكمالات، ولو أنه لا يدرك ألفاظ هذه الصفات ولكن يدرك معانيها، والحجة هنا لا تقوم بالألفاظ وإنما بالمعاني، وعلى هذا فإن الإنسان ولو كان منقطع في جزيرة ولم يصله المبلغ الذي يبلغه بعمل الواجبات وترك المنهيات واعتقاد ما ثبت بالنقل من العقائد فهو ليس مكلف بهذه المسائل لعدم قيام الحجة عليه بها وإنما هو مكلف بالتوحيد وهو معرفة الله ما دام عاقلاً وذلك كما قلنا أن العقل يدرك وجود الله وكمالاته.

وأما من ناحية قيام الحجة بالنقل (القرآن والسنة) فهي ما عدا معرفة وجود الله كمعرفة الرسل والأنبياء والملائكة والكتب المنزل والبعث والنشور والحساب والجنة والنار وغيرها من الغيبيات، أو العمليات كالصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها من المفروضات، وكذلك المنهيات كالفواحش وشرب الخمر والربا والسرقه والاعتداء على الآخرين وظلم الناس وغيرها من المنهيات أو كما يسميها البعض بالتركيات، فهذه العقائد والعمليات والمنهيات التي ذكرناها والتي لم نذكرها لا تقوم الحجة بها إلا بالنقل (القرآن والسنة).

والخلاصة:

أي معتقد قامت به الحجة على المكلف فلا يسعه جهله.

وأي فرض (واجب) قامت الحجة على المكلف به أو منهي قامت الحجة على المكلف تركه فلا يسعه جهله.

والحمد لله على تمام فضله، فما كان في الدرس من صواب فمن فضل الله علي وما كان من خطأ فمني والشيطان.

ملخص نقاط الدرس :

١. الإنسان والغاية من خلقه.
٢. التكليف معناه وشروطه.
٣. قيام الحجة بالعقل والنقل (القرآن والسنة).

النقطة الأولى: الإنسان والغاية من خلقه.

الشرح:

الجواب كما دلت عليه الآية الكريمة (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) فهذه هي الغاية من خلقه، فهدف المسلم في هذه الحياة يجب أن يكون توحيد الله وعبادته حق العبادة وامتنال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

وعلى هذه الغاية العظيمة والهدف الأسمى يترتب كل ما يشمل جوانب الحياة من إعمار الأرض والاستحلاف فيها، ولكن وفق ما شرعه الله من منهج، وبعث به رسله في الأمم، يقول الله سبحانه وتعالى (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها).

فينبغي من المسلم أن يعرف هذا ولا يهمل الجانب الذي كانت الغاية من إيجاده في هذه الحياة، ويلتفت إلى إعمار الأرض فقط ويجعل نصيبه من الدنيا ولا يجد نصيباً من الآخرة سوى الشقاء.

وهذا واقع مشاهد في الحياة، بحيث تجد أن البشر في عمومهم يعطون الجانب الدنيوي نصيباً وافراً وأكثر من الجانب الديني ولو كانوا على ضلال، ويكثر فيهم الفساد والمنكرات والجرائم بشتى أنواعها ولا تجد للعدل طريقاً له عندهم ولا تتوقف أطماعهم عند حد معين، لأن الدنيا تسحبهم شيئاً فشيئاً وقوانينهم الوضعية وضعوها مكان القوانين الإلهية، فأصبح القانون يطبق على فئة ولا يطبق على فئة أخرى، فأصبح هناك لا عدالة، ولو أنهم التزموا القوانين الشرعية الإلهية لما وجدت هذه الجرائم والمنكرات ولكان الكل في أحسن حال.

وكذلك المجتمعات الإسلامية ليست بأقل حال من حال هؤلاء الكفار عندما صدروا إلى مجتمعاتهم تلك الأفكار والقوانين واستبدلوا القوانين الربانية العادلة بقوانين بشرية وضعية فاشلة تفتشت فيهم المنكرات والفواحش والجرائم، فلا ندري بأي حق وأي جرأة ضربوا بالشرعية والنظام الذي وضعه الله عرض الحائط وأتوا بنظام وقوانين بشرية، والحق تبارك وتعالى هو المتصرف في ما يريد وليس البشر.

فيجب على الإنسان أن يعلم أن الله خلقه لغاية وهي عبادته ويجب أن يعلم أن إعماراه في هذه الأرض يجب أن يكون مثل ما يحب ويرضى الله وليس مثل ما يحب ويرضى البشر أو يحب ويرضى هو نفسه.

النقطة الثانية: التكليف ومعناه وشروطه.

الشرح:

التكليف في اللغة هو إلزام الإنسان وتحمله ما يشق على نفسه فعله.

مثال على ذلك: لو أن عائلة تسكن في منطقة السيب ولديهم مزرعة في منطقة سمائل، فطلب أب العائلة من ابنه أن يذهب إلى المزرعة يومياً مرتين، مرة وقت الصباح ومرة وقت العصر ليسقي الزرع، فهذا يعتبر تكليف من الأب على الابن في ما يشق على نفسه فعله.

أما اصطلاحاً: هو إلزام العباد العقائد والعمليات من واجبات وتركيات وهي المنهيات.

ولكن هذا التكليف يجب أن يكون مشروطاً بعدة شروط، وهذه الشروط هي التي تحدد إن كان هذا العبد مهياً لتحمل تلك العقائد والعمليات، وهذه الشروط هي:

أولاً: يجب أن يكون هذا الإنسان عاقلاً غير مصاب بأي تأثير في عقله لأن المجنون غير مكلف وذلك لغيباب العقل الذي هو يستطيع أن يتصور الأشياء ويفرق بين صحيحها وسقيمها.

فمثلاً: لو قلنا لشخص مكلف عاقل ما هي صلاة المغرب؟ فهو يستطيع أن يتصور في عقله ما معنى صلاة المغرب بركعاتها الثلاث وتوجيهها وفتحها وسورها وركوعها وقيامها وسجودها وجلوستها وتشهدها وتسليمها وألفاظها.

لكن لو قلنا لشخص مجنون ما هي صلاة المغرب؟ فلن يعرف منها شيء ولن يعرف الغاية من أدائها أصلاً.

ثانياً: يجب أن يكون بالغاً، وعلامات البلوغ معروفة ولا داعي للتفصيل فيها، ومن أرادت أن تطلع أكثر حول هذه المسألة فعليها بكتاب (تلقيين الصبيان أو نتائج الأقول) أو أي كتاب فقهي مختصر.

قد يكون هناك من لم تظهر فيه علامات البلوغ، ففي هذه الحالة إن وصل سنه الخامسة عشر على القول الصحيح فقد أصبح مكلف ويلزمه الإتيان بالفرائض إن قامت عليه الحجة بها عليه. وكذلك العقائد إن قامت الحجة بها عليه.

ثالثاً: قيام الحجة على المكلف إما بالعقل وإما بالنقل ويراد بالنقل القرآن والسنة وقد يطلق على القرآن والسنة أيضاً بالسمع، فالعقل حجة في معرفة الله وكمالاته فقط، وأما باقي العقائد والعمليات فلا تقوم بها الحجة إلا بالنقل (القرآن والسنة).

رابعاً: عدم وجود مانع وهو العذر الذي من خلاله لا يستطيع المكلف أن يأتي ببعض الواجبات كالمرض مثلاً إن كان لا يستطيع أن يصلي واقفاً فيصلي جالساً لأن عذر المرض هنا أسقط عنه التكليف بالصلاة واقفاً، فإن كان هناك عذر يمنع من أداء الصلاة واقفاً أو جالساً فهو مانع من ذلك وغير مكلف فيصلي مضطجعاً، وهنا أحب أن أنبه أنه لا يعني ذلك يترك الصلاة نهائياً أو الصوم نهائياً أو غيرها من الفرائض وإنما على قدر وجود المانع يترك ما لا يستطيع الإتيان به وإن كان لا يستطيع القيام بالواجب المفروض عليه نهائياً فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

النقطة الثالثة: قيام الحجة بالعقل والنقل (القرآن والسنة)

الشرح:

قلنا أن الحجة لا تقوم على المكلف إلا بالعقل أو النقل.

أما من ناحية قيام الحجة بالعقل فهي فقط في معرفة وجود الله أي في توحيد الله ومعرفة كمالاته من الصفات الواجبة له، فالإنسان العاقل يدرك بعقله أن لهذا الكون صانع وخالق وبما أنه خالق فهذا يعني أنه يتصف بالحياة وبما أنه يتصف بالحياة فهو إذا يتصف بالقدرة والعلم وغيرها من صفات الكمال.

وقد لا يدرك ألفاظ هذه الصفات (قدير. سميع. عليم. بصير. حي) ولكن يدرك معانيها وأما ألفاظها لا تلزمه ساعتها إلا إذا قامت بها الحجة بالقرآن والسنة فساعتها يلزمه اعتقادها باللفظ والمعنى.

ومن هذا نفهم: أن المنقطع في جزيرة معينة ولم يصله رسول ولم يسمع بقرآن أو سنة ووصل سن التكليف وكان عاقلا يلزمه اعتقاد توحيد الله فقط لأن عقله يدرك هذا الشيء وأما بقية العقائد التي لا تثبت إلا بالقرآن أو السنة كالإيمان بالملائكة والرسول والكتب والبعث والنشور والحساب والجنة والنار أو الفرائض كالصلاة والصوم والزكاة والعمرة والحج أو المنهيات كالفواحش والربا والخمر والسرقعة والاعتداء على الآخرين وغيرها، فلا تلزمه لأن حجتها كما قلنا تقوم بالقرآن والسنة فقط وهو لم يصله هذا التشريع الذي لا يثبت إلا بالنقل.^[7]

قد يسأل أحدكم ويقول إن الله قال (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وهذا دليل أن الله لا يعذب أحدا إن لم يصله رسول؟

الجواب : قيل أن هذه الآية فقط في التشريعات والتشريعات هي المسائل التي تثبت بالقرآن والسنة كالملائكة والكتب والرسول والجنة والنار والبعث والنشور والحساب أو كالتشريعات العملية كالصلاة والصوم والزكاة وغيرها، فهذه كلها لا يمكن للعقل أن يثبتها. فحتاج لنص قرآني أو من السنة، فالآية تتحدث عن التشريعات ولا تشمل توحيد الله ومعرفته.

وأما قيام الحجة بالنقل فهي كما قلنا: هي ما عدا معرفة وجود الله وقد وضحنا ذلك أعلاه لأن النقل يشمل على عقائد وعمليات لا يمكن إثباتها بالعقل.

فأي عقيدة غيبية تثبت بالقرآن أو السنة الصحيحة يجب على المكلف الإيمان بها لأنه لو أنكرها أو جحدتها سيقع في الكفر والعياذ بالله كإنكار مثلا عدم وجود ملائكة أو عدم وجود حساب أو عدم وجود بعث أو عدم وجود رسل أو إنكار نبوة محمد أو إنكار نبي بعينه كإنكار أن إبراهيم نبي فهذا كله يؤدي إلى كفر مخرج من ملة الإسلام.

وكذلك أي فريضة واجبه تثبت بالقرآن أو السنة الصحيحة وقامت الحجة عليه بها يجب عليه الإيمان بها وإتيانها على الوجه الصحيح لأنه لو أنكر شيء من الفرائض كإنكار صلاة أو الصوم أو الزكاة أو غيرها من الفرائض فهو كافر خارج من ملة الإسلام.

وكذلك أي فعل أو قول نهى الله عنه وثبت النهي بالقرآن أو السنة الصحيحة وقامت الحجة على المكلف بالنهي فيه، فيجب عليه أن يترك ذلك المنهي عنه وإن أنكر النهي كمثال أن يقول أن الربا ليس حرام أو السرقة ليس حرام أو فعل الفواحش ليس حرام أو حلل ما حرم الله بعد قيام الحجة عليه فهو واقع في الكفر.

فائدة:

في مسألة الفرائض لا تقوم الحجة فيها إلا حين حضور وقتها، فعلى سبيل المثال الصلاة: لو شخص بلغ الساعة الثامنة صباحاً فهذا الشخص لا يلزمه معرفة الصلاة إلا حين حضور وقتها، فإن قلنا مثلاً هو بلغ بعد صلاة الفجر بعد الشروق ووقت صلاة الظهر الساعة الثانية عشرة فلا بأس إن بقي على جهله بالصلاة حتى الساعة الثانية عشرة، ولكن إن دخل الوقت هنا لا يسعه جهل الصلاة ويجب أن يتعلمها. وكذلك في من دخل الإسلام إن كان بالغاً عاقلاً. ولكن هنا يلزمهما معرفة الله كما قلنا لأن معرفة الله تدرك بالعقل.

كذلك الصوم إن بلغ مثلاً في منتصف شهر شعبان، أو كافر دخل الإسلام في منتصف شعبان فهنا يسعهم جهل رمضان إن لم تقم الحجة به عليهم، ولكن إن وصل الشهر قامت عليهم الحجة فلا يسعهم جهل الصوم وأحكامه. هذا إن كانوا غير منقطعين في جزيرة كما قلنا.

أو إن لم يصلهم المبلغ

أما المنهيات كالفواحش وغيرها فيسع جهلها إلى أن تقوم الحجة عليهم بها وهي عند الشروع بارتكابها فساقتها لا يسعهم جهلهم لها.

كالربا مثلاً إن أراد أن يأخذ قرضاً وكان شرط المقرض الزيادة على القرض كأن يقترض خمسة آلاف ويردها سبعة آلاف فالألفين تكون في باب الزيادة المحرمة هنا لأنها ربا، فهنا يجب عليه قبل أن يأخذ القرض أن يعلم حكم هذه المعاملة.

وأن أحل له شخص هذه المعاملة فالأثنين هالكين، وهكذا في باقي المنهيات يلزم المكلف معرفة حكمها عند قيام الحجة والحجة هنا تقوم عند الشروع بارتكابها.

الدرس الثالث

أول ما يلزم العبد اعتقاده

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الهداة المتقين، وبعد

اعلم أن أول ما يلزم المكلف اعتقاده أو الإيمان به والتلفظ به هو شهادة التوحيد التي كان يدعو إليها النبي محمد والأنبياء من قبله عليهم الصلاة والسلام جميعاً وهي:

١ - شهادة أن لا إله إلا الله.

٢ - شهادة أن محمداً رسول الله.

٣ - شهادة أن ما جاء به محمد هو الحق من عند الله.

قال رسول الله صل الله عليه وسلم كما في الحديث: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى.

وتسمى شهادة التوحيد عندنا (بالجملة) لأنها في إجمالها تشتمل على جميع العقائد والعمليات والمنهيات فكل ما ثبت من العقائد والعمليات من واجبات ومنهيات يندرج تحت الجملة فلهذا وضع لها علماؤنا تفسيران وهما:

١ - التفسير الاعتقادي للجملة.

٢ - التفسير العملي للجملة.

أما التفسير الاعتقادي للجملة فهو :

الإيمان بالله وكمالته وأنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله وعبادته والإيمان بالملائكة والكتب المنزل والرسول والقضاء والقدر والبعث والنشور والمحشر والحساب والجنة والنار وغيرها من الغيبيات الثابتة.

أما التفسير العملي:

هو الإتيان بالواجبات المفروضة التي قامت بها الحجة كالصلاة والصوم والزكاة والحج والعمرة وجميع ما فرض على المكلف به عند قيام الحجة، وكذلك من التفسير العملي للجملة هو اجتناب وترك كل ما نهى الله عنه عند قيام الحجة كشرب الخمر والربا والفواحش بشتى أنواعها والسرقه والقتل العمد والاعتداء والغيبة والنميمة وقذف الأعراض وغيرها من المنهيات.

فائدة:

قد تجد أن لفظ (الجملة) عند قراءتك لكتب العقيدة يأتي بصيغة المفرد وبصيغة المثنى وبصيغة الجمع، ولا إشكال في ذلك من حيث الغاية، فالإمام نور الدين عبد الله بن حميد السالمي رحمه الله، ذكر الجملة في بعض منظوماته بالصيغ الثلاث حيث قال في منظومة أنوار العقول:

والقول في (الجملة) مالم يقم ** برهانها كغيرها لم تلزم

وقال في منظومة كشف الحقيقة:

ونحن لا نطال العبادا ** فوق شهادتيهم اعتقادا

فمن أتى (بالجملتين) قلنا ** إخواننا وبحقوق قمنا

وقال في منظومة غاية المراد:

وأول الفرض من تأصيله (جمل) ** ثلاثة فزت إن تستحضر الجملا

سماها بالجملة لأنها تؤدي إلى نفس الغاية، وسماها بالجملتين لأن الجملة الثلاثة داخلية في الثانية، لأن الإيمان برسالة النبي يقتضي الإيمان بما جاء به، وسماها بالثلاث جمل لاشتمالها على ثلاثة أركان وجعل كل ركن مستقل.

فائدة ثانية:

عند النطق بالجملة يترتب على ذلك أمورٌ ثلاث وهي عندما يأتي بها يصون نفسه من أحكام المشركين:

١ - فلا يسفك دمه عند نطقها.

٢ - ولا يغنم ماله.

٣ - ولا تسبى ذراريه.

وقد ذهب جمهور علمائنا إلى أن التصديق بها لا يكفي وإنما لابد من التلفظ بها باللسان كون الناس متعبدون في ما بينهم بظواهر الأقوال والأفعال، وهذا ما أيده سماحة شيخنا الخليلي حفظه الله عندما قال في شرحه على الغاية:

ولا خلاف في أن التصريح بها نطقاً أفضل وأكمل.

والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله وما كان من خطأ فمني والشيطان

ملخص الدرس:

١. الجملة هي أول ما يلزم العبد من أمور دينه.
٢. للجملة تفسيران يندرجان تحتها كفر عین يشملان ما يلزم العبد بعد التلطف بالجملة.
٣. التلطف بالجملة يترتب عليه أشياء تغير من مصير الفرد وحقوقه قبل وبعد التلطف بها.

النقطة الأولى: الجملة هي أول ما يلزم العبد من أمور دينه.

الشرح: كما بينا في الدرس، أول ما يلزم العبد في أمور دينه هي شهادة التوحيد وهي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن ما جاء به محمد هو من عند الله.

ومعنى ذلك أن على المكلف أن يعلم بوجود خالق وصانع وهو الله وأنه واحد في ذاته وصفاته وعبادته وأفعاله، وكذلك يجب أن يعلم أن له رسول باسمه، وهو محمد بن عبد الله القرشي وأنه جاء بالحق من عند الله مصدقا في ذلك.

فإن أقر المكلف بهذه الأركان الثلاثة أصبح مسلما، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم إلا إن نقضها بشيء من الكبيرتين، كبيرة الشرك أو كبيرة المعصية، فحينها يترتب لكل كبيرة من الكبيرتين أحكام تتفق في شيء بين المشرك والعاصي وتختلف في أشياء.

للفائدة..

منكر الجملة يعتبر كافرا مشركا وكذلك من جهلها بعد قيام الحجة بها وكذلك من شك فيها فهو كافر، ولا يسع للمكلف جهل شرك هؤلاء أبدا وكذلك لا يسع جهل ضلال من جهة المنكر والجاهل بعد علم والشاك على شركهم.

بمعنى آخر.. لو شخص قال في من أنكر الجملة أو شك فيها أو جهلها بعد علم أنه مصيب فهو ضال مثله.

النقطة الثانية: للجملة تفسيران يندرجان تحتها كفر عین يشملان ما يلزم العبد بعد التلطف بالجملة.

الشرح: وضع علمائنا رحمهم الله للجملة تفسيران أحدهما اعتقادي والآخر عملي، بمعنى أن مسائل الدين كلها تنفرع من هذه الأركان الثلاثة.

يقول الإمام السالمي:

إن قامت الحجة بشيء من تفسير الجملة الاعتقادي وجب على المكلف اعتقاده في حينه ولا ينفس له في السؤال عن ذلك لأن التنفيس للسؤال فيه توسعة للجهل بعد قيام الحجة.. انتهى كلامه بتصرف

وكما هو معلوم أن برهان ثبوت الركن الأول من الجملة هو العقل وأما الركنين الآخرين فهو السمع.

وهذا يعني أن أي أمر عقائدي مندرج تحت الجملة لا يسع جهل المكلف به، وحتى السؤال فيه، لأنه توسعة لجهله.

مثلا كالإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر يلزمه الإيمان بها دون السؤال إن قامت الحجة.

وهذا الكلام صحيح لأن في السؤال قد يدخل الشك أو الإنكار، فيما أنه أتى بالشهادة نطقاً فهو مؤمن بها دون شك. وعلى هذا يلزمه أن لا يشك في ما يكون مبنيًا عليها من عقائد.

أما التفسير العملي فهو كما تم توضيحه في الدرس، هو كل ما يلزم من واجب عمله فعلاً وقولاً وكل ما يلزم من نهى تركه فعلاً وقولاً.

فلهذا كانت الجملة عقيدة في القلب وإقراراً باللسان وعملاً بالأركان، بمعنى أن تفسيرها العملي والتركي هو ترجمة ظاهرة لها.

فاللسان يترجم والعين تترجم والأذن تترجم واليدان تترجمان والرجلان تترجمان والعقل في تفكيره يترجم وسائر الجوارح التي في ظاهرها تنفذ ما يختزنه قلب المسلم من معتقد.

النقطة الثالثة: التلطف بالجملة يترتب عليه أشياء تغير من مصير الفرد وحقوقه قبل وبعد التلطف بها.

الشرح : من المعلوم أن النبي عليه الصلاة والسلام كانت بداية دعوته يكتفي فيها بشهادة التوحيد، لما يترتب عليها من أحكام تميز قائلها عن غيره من المشركين، فما أن ينطقها إلا ويترتب عليها:

أولاً: دمه حرام فلا يسفك إلا بحق كالقتل بالعمد أو حد الفاحشة إن كان محصن. ففي حضيرة الإسلام هو بين إخوته ولا يحق لهم إيذائه بكلمه فكيف بقتله وقد حرم دمه شرعاً.

وما نراه اليوم من استباحة دماء المسلمين هو ليس من الإسلام في شيء وإنما هي جرائم منكرة تعتدي فيها النفس البشرية الظالمة على النفس البشرية المسلمة البريئة التي حرم الإسلام استباحة دمه.

وفي قصة الصحابي أسامة بن زيد عبرة لنا في ذلك.. وذلك عندما طعن أحد الكفار في غزوة من الغزوات بعد أن نطق ذلك الشخص الشهادة، وعندما أخبروا النبي بما صنع أسامة غضب النبي ..

وقال أسامة: إن ذلك الرجل قالها خوفا من السيف يعني القتل. فقال له النبي وهل شققت عن صدره. ثم تبرأ النبي من فعل أسامة.

وهذا دليل على أن التلفظ بالشهادة كفاية في حفظ دم قائلها وأما ما يكنه في صدره فهو الله، والناس ليسوا مكلفون بالأحكام في ما بينهم إلا بالظاهر فقط.

ثانياً: لا يغنم ماله بمعنى أن ماله لا يجوز أخذه ما دام مسلماً، فإذا قامت حرب بين المسلمين لا يجوز أن يغنموا أموال بعضهم البعض. إلا إن كانت أموال مغتصبة فحينها ترد إلى أصحابها.

ثالثاً: لا تسبى ذراري من يتلفظ بالجملة، أما الكافر فتسبى ذريته ليس إذلالاً لهم وإنما هو تدبير سياسي كما يسميه البعض، لأن هؤلاء الذراري والإماء يحتاجون إلى من يرعاهم بعد الحرب، لأن من كان من أبائهم من كان يرعاهم قد يقتلوا في الحرب، فأخذهم يكون فيه سلامتهم ورعاية لهم وهو ليس أمر ملزم وإنما هو أمر سياسي كما ذكر.

وكما ذكرنا في الدرس أن جمهور العلماء قالوا إن الجملة لا بد من التلفظ بها كون الناس متعبدون في ما بينهم بالظاهر، وفي قصة أسامة بن زيد دلالة على ذلك، فالنبي عليه الصلاة والسلام ما إن سمع بمقتل شخص نطق بالشهادة غضب وتبرأ من هذا الفعل، وكما قلنا أنه عليه الصلاة والسلام بعث بها بداية، وهذا دليل على أن النطق بها يسلم الإنسان من القتل، وإن كان قالها اتقاء من السيف فأمره إلى الله.

الدرس الرابع

أصول أو (مصادر) الاعتقاد والتشريع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وتبع خطاه، وبعد
اعلموا يرحمكم الله أن الدين في عقائده وتشريعاته له أصول أو مصادر يستقي أو يثبت منها
المسلم هذه العقائد أو التشريعات في دينه، وهذه الأصول هي القرآن والسنة الصحيحة والإجماع
إن لم يخالف نصاً قطعياً، يقول الإمام نور الدين عبد الله بن حميد السالمي يرحمه الله في
منظومته أنوار العقول:

والأصل للفقهاء كتاب الباري ** إجماع بعد سنة المختاري

فلا يمكن لأي مسلم أن يشرّع أو أن يثبت أمر عقدي دون وجود الدليل على ذلك من القرآن أو
السنة الصحيحة ؛ لأن الغيب والتشريع موقوف على الشارع عالم الغيب والشهادة وهو الله وحده
لا شريك له في ذلك.

إذاً أصول الاعتقاد والتشريع هي كتاب الله (القرآن) والسنة النبوية الصحيحة، ونبدأ بأولها وهو:

أولاً القرآن :

وهو كلام الله المنزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم للإعجاز والتعبد بألفاظه من
الله فتلقاه النبي لفظاً ومعنى من الله عن طريق جبريل عليه السلام، وهو قطعي في ثبوته ملزم
لكل مسلم، نقل إلينا تواتراً جمع بعد جمع، ولا خلاف أنه كامل غير ناقص في حروفه وكلماته
وآياته وأحزابه وأجزائه وسوره، فقد حفظه الله من التحريف والنقصان والزيادة فقال في محكم
كتابه: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ٩ الحجر.

ومن يقرأ ويتدبر كتاب الله يجد في مضمونه أنه يشتمل على أحكام ومواظ وعظ وقصص وأمثال،
وأما من حيث اللفظ والمعنى فينقسم إلى ☆ آيات محكمات وآيات متشابهات ☆ كما بين ذلك الله
تعالى في الآية السابعة من سورة آل عمران حيث قال عز وجل: (هو الذي أنزل عليك الكتاب
منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات).

هل القرآن حجة في العقائد والتشريع؟

الجواب: نعم.. يقول الله تعالى: (ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) وقال تعالى: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقال تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس
وبيّنات من الهدى والفرقان).

فكل ما جاء من غيب وأمر ونهي في كتاب الله لا حجة لأحد في رده وإنكاره.

ثانياً السنة النبوية:

وهي ما صدر عن - النبي صل الله عليه وسلم - من (قول أو فعل أو تقرير).

أما (القول): فهو ما نطق به لسانه - عليه الصلاة والسلام - كقول الراوي (قال رسول الله) أو (سمعت رسول الله يقول) أو (قال لنا رسول الله) وهكذا السنة القولية تكون بالسماع.

أما (الفعلية): هي ما رآه الصحابي أو نقله الراوي من فعل كان يأتيه النبي كأعمال الصلاة وأعمال الحج والعمرة مثلاً وكقولهم (كان النبي يفعل كذا) أو (رأيت النبي يفعل كذا) وهكذا السنة الفعلية تكون بالرؤية لفعل النبي أو بالنقل أنه يفعل كذا.

أما (التقريرية): هي ما سكنت عنه النبي من فعل أو قول أتى به الصحابة، وسكوته إقرار لهم على ذلك دون أن يخطئ أحد، وهكذا السنة التقريرية تكون بالتصويب للطرفيين.

أما الأحاديث القدسية: هي ما رواه النبي - صلى الله عليه وسلم - عن رب العالمين كقوله مثلاً (قال الله تعالى كذا) ومن حيث الإعجاز فالأحاديث القدسية ليست إعجازية كالقرآن، ومن حيث التلقي فقد تلقاها النبي بالوحي عن طريق جبريل عليه السلام، وقيل كذلك بالإلهام، والأحاديث القدسية ليست للتعبد من جهة الألفاظ كالقرآن، وأما من ناحية ثبوته فلا يقطع بذلك كقطعية ثبوت القرآن لأن الأحاديث القدسية قد يرد الوهم فيها إلى الراوي وقد يرويه بالمعنى، وهذا يعني أن الأحاديث القدسية لا يكفر من رد حديثاً فيها أو استنكره لحال بعض رواته، بعكس القرآن الذي لا يمكن أن يقرأ إلا باللفظ والمعنى الذي نزل به جبريل، ومن رده أو استنكره فقد وقع في الكفر.

فائدة:

يطلق على القرآن بالوحي الظاهر كونه نزل به جبريل عليه السلام وتلقاه منه النبي - صلى الله عليه وسلم - ويطلق على السنة الصحيحة بالوحي الباطن كون النبي تلقاها عن طريق الإلهام من الله تعالى.

هل السنة حجة في العقائد والتشريع؟

الجواب: نعم.. يقول الله سبحانه وتعالى: (وما ينطق عن الهوى*إن هو إلا وحي يوحى) وقال تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) وقال تعالى: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وقال تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمر أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) وقال تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله).

فكل ما ثبت عن النبي من غيب وأمر ونهي فلا خيار لأحد برده أو انكاره أو تجاهله، لأنه من الله تعالى.

والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله وما كان من خطأ فمني والشيطان

درس اليوم سهل جدا

هو عبارة عن، التعرف على مصادر التشريع أو كما يسميها البعض مصادر التلقي أو أصول التشريع.

لأن الدين له أصول أو مصادر لإثبات عقائده وتشريعاته، وليست لكل من هب ودب يشرع في دين الله ما يشاء.

بل حتى الأمور المستحدثة لا يمكن أن يشرع فيها الإنسان أحكاما دون الرجوع إلى الأصول، فلهذا أوجد العلماء ما يسمى بالقياس أو الرأي.

فمثلا أعزكم الله الخمر له أصل نص على تحريمه، ولكن هناك مستحدثات شبيهة بالخمر في علتها كالمخدرات أعزكم الله.

فهل يوجد نص صريح بتحريم المخدر وما شابهه؟

الجواب لا.. فلهذا قيس المخدر بالخمر في الحكم لأنهما يحملان نفس العلة المانعة وهي المسكر.

فلهذا التشريع لا يأتي من فراغ وإنما الأصول موجودة.

بسم الله.. نبدأ التعليق على الدرس

حصرنا الدرس في هذه النقاط الثلاث.

النقطة الأولى: الأصول ومصدر الإثبات العقائدي

النقطة الثانية: القرآن هو الأصل الأول في إثبات العقائد.

النقطة الثالثة: السنة هي الأصل الثاني في إثبات العقائد.

طبعاً بما أن دروسنا في العقيدة فسنحصر كلامنا فيها، وكذلك المنهج في الإثبات العقدي ولن نتطرق إلى الفقه، وإن ذكرنا الفقه سنذكره بشكل عام.

النقطة الأولى: الأصول ومصدر الإثبات العقائدي

العقائد والواجبات والمنهيات لا تثبت إلا من طريقين وهما القرآن والسنة النبوية وأما الإجماع يشترط فيه عدم مخالفة نصاً من القرآن والسنة.

وقد يكون الإجماع الآن مأخوذاً به في مسائل معينة وهي الأصول التي يتفق عليها كل المذاهب والطوائف والفرق الإسلامية.

كإثبات وجود الله وإثبات ربوبيته وألوهيته وأفعاله ووحدانيته، وإثبات وجود الملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر وما يشمل وكإثبات أصول التشريع كالصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة فهذه مجمع على ثبوتها على وجه الإجمال ولأنها أصول الدين عقائداً وفقهياً.

ولكن الإجماع فيها أي في هذه المسائل من حيث تفاصيلها فلا وجود له، وكذلك الإجماع في المسائل العقائدية التي يدخل فيها العلم الاعتقادي النظري لا وجود له.

والخلاف واقع بين الأمة فلماذا نرى هذه الفروقات في تفاصيل المسائل الفقهية والمسائل العقدية ومن ادعى الإجماع فهو كاذب.

ولكن من حيث الأصول كأصول العقائد فكما قلنا فهي مجمع عليها لوضوح دلالتها، فقد ذكرت بالنص الصريح في القرآن والسنة الصحيحة وكذلك أصول التشريع كالصلاة والصوم فقد ذكرت صريحة في القرآن والسنة، فلماذا لا يمكن لأحد أن ينكرها.

انتبهوا لمسألة الإجماع

هناك مسائل خلافية بين المسلمين فتجد البعض يدعي الإجماع لينصر مذهبه.

وأغلبها في العقائد، نقرأ في كتب العقائد أن الصحابة أجمعوا والتابعين، والحقيقة أنه ليس بإجماع وإنما هو انتصار لمذهب من يزعم الإجماع.

والأمة أجمعت على الأصول التي تثبت بالنص الصريح كأركان الإيمان وأركان الإسلام.

النقطة الثانية: القرآن هو الأصل الأول في إثبات العقائد.

القرآن كما عرفناه في الدرس هو كتاب الله، أنزله على نبيينا محمد صل الله عليه وسلم لفظاً ومعنى، فتلقاه النبي من جبريل عليه السلام بنفس اللفظ والمعنى.

فأصبح القرآن بهذا الاعتبار هو الأصل الأول في تلقي أو إثبات العقائد وهو ملزم لكل مسلم ولا يسع أي مسلم إنكاره ومن أنكر فيه ولو حرفاً واحداً فقط وقع في كفر الشرك المخرج من الملة.

وهو حجة على كل مسلم ينتسب إلى الإسلام ولا عبرة بالمذاهب المتعددة أمام حجة القرآن، فمن قامت عليه الحجة من أي مذهب في أمر ما ثبت بالقرآن فيلزمه قبول الحق، ومن قامت عليه الحجة بأمر ما فيه إثبات أو نفي سواء كان في توحيد الله أو مسائل اليوم الآخر فيلزمه قبوله وإلا وقع في الكفر والعياذ بالله.

كما قلنا القرآن ينقسم في معاني آياته من حيث اللفظ إلى آيات محكمات هن أم الكتاب أي الأصل وآيات متشابهات وهن الآيات التي قد تحمل أكثر من معنى.

وفي القسمين من الآيات يحدد الفهم والمراد من معاني الآيات، ولكن على مفاهيم سنتطرق إليها في درسنا القادم ليتضح لنا أكثر ما هو المحكم وما هو المتشابه وكيف هو المنهج الصحيح في إثبات العقيدة.

النقطة الثالثة: السنة هي الأصل الثاني في إثبات العقائد.

الأصل الثاني هي السنة النبوية وتنقسم كما قلنا إلى سنة قولية وفعلية وتقريرية وقد عرفنا كلاً منها في الدرس.

والذي أردنا توضيحه باختصار أن العقائد لا تثبت إلا بالسنة القولية فقط وهي ما تسمى عند المحدثين بالحديث النبوي.

فلا يؤخذ في العقيدة بالسنة الفعلية أو التقريرية ، لأن السنة الفعلية من أسباب عدم الأخذ بها هو أنه قد يكون فعله عليه الصلاة والسلام في باب الخصوص الذي خصه الله به.

وأما السنة التقريرية فلا تثبت بها العقيدة ومن أسبابها أنها مرتبطة بفعل غيره - عليه الصلاة والسلام - والغيبيات لا تثبت إلا عن طريق الأنبياء وليس غيرهم.

إذاً الحديث يتلقاه النبي عن طريق الوحي الباطني وهو الإلهام وهذا الإلهام قد يكون اجتهاداً منه - عليه الصلاة والسلام - واجتهاده لا يكون إلا في الأحكام أو الرأي.

وأما الأحكام فلا يجوز مخالفتها لأنها من الله رغم اجتهاده - عليه الصلاة والسلام - فهو وحيٌ باطني، وأما اجتهاده من جهة الرأي فقد يكون هناك رأي آخر أصوب من رأيه عليه الصلاة والسلام فيأخذ رأي غيره ويترك رأيه كالآراء في الحروب التي خاضها النبي.

الدرس الخامس ج ١

منهج الاستدلال والإثبات العقائدي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وتبع خطاه، وبعد

أخذنا في الدرس السابق أصول التشريع وهي المصادر التي تثبت بها العقائد والعمليات وما يترتب عليها من أحكام وتفصيلات، وفي هذا الدرس سنتدرج إلى منهج الاستدلال وكيفية إثبات العقائد، أما العمليات فلن نلج فيها لأنها ليست موضوعنا وإنما سنكتفي بالعقائد فقط.

وقلنا إن مصادر إثبات العقائد هي القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وقد عرفنا كل من هذه الأصول.

أما المصدر الأول هو القرآن:

وقلنا أن القرآن تنقسم آياته من حيث المعنى إلى آياتٍ محكمات وآياتٍ متشابهات وقد نصت على ذلك الآية السابعة من سورة آل عمران في قوله تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب).

فما هو المحكم وما هو المتشابه؟

بدايةً يجب أن نعلم أن اللفظ ينقسم من حيث فهم المراد منه إلى محكم ومتشابه.

أولاً: المحكم

المحكم إما أن يكون لفظاً المراد منه لا يحتمل إلا ذلك المعنى ويسمى نصاً.

أو أن يكون لفظاً نطن المراد منه معنى اللفظ وقد يحتمل معنى آخر مرجوحاً غيره ويسمى ظاهراً.

إذاً لدينا محكم نص ومحكم ظاهر:

محكم نص هو اللفظ الذي لا يحتمل معنى غيره.

ومحكم ظاهر هو اللفظ الذي نطن أنه المعنى المراد منه مع احتمال معنى آخر.

النص من حيث الاستدلال حكمه يكون قاطعاً ولا اجتهاد فيه ويلزم اعتقاده أما الظاهر فلا يصح ترك ظاهره الذي ظننا أنه هو معنى المراد به إلا بدليل وهو ما يسمى (بالقرينة) وهذه القرينة

هي الذي يرجح المعنى المحتمل الباطني للكلام وهذا يعني أن الدليل إذا رجع المعنى الباطني من اللفظ على المعنى الظاهر فيجب الأخذ به.

وهذا ما يسمى (بالتأويل) وهو صرف المعنى الظاهر إلى المعنى الباطن، وقد يطلق عليه اصطلاحاً بصرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه.

أما القرينة: هي الدليل الذي يصرف به ظاهر اللفظ عن ظاهره، وهي نوعان.

قرينة عقلية و قرينة مقالية أو لفظية

أما التأويل فهو نوعان فهو إما أن يكون تأويلاً قريباً أو تأويلاً بعيداً.

أما التأويل القريب: هو الذي يُكتفى في صحته أدنى مرجح كتأويل آيات التشبيه (وسياتي بيان ذلك).

أما التأويل البعيد: هو الذي يحتاج إلى مرجح أقوى لضعف القرينة.

ثانياً: المتشابه

المتشابه هو : ما خفي معناه، وسبب خفاءه هو اللفظ إما أن يكون مجملاً أو في ظاهره تشبيه الله بخلقه، وحكمه هو أن يرد إلى المحكمات من الآيات التي تثبت تنزيه الله عن مشابهة مخلوقاته.

أما المجمل حكمه الوقوف فيه إلا بدليل يُظهرُ المراد منه.

نستخلص من هذا الكلام أن المجمل منه ما يدرك معناه بحصول القرائن الموصلة إلى معنى المراد منه.

ومنه أي المجمل ما لا يدرك معناه أبداً إلا بتوقيف من الله كأحرف أوائل السور أو الأعداد المبهمة في بعض الآيات أو مقادير الثواب والعقاب، فهذا من المتشابهات التي يلزم المسلم الوقوف فيها.

وهذا النوع من المتشابه هو الذي وصفه الله في قوله: (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه)، لأنه ليس جميع المتشابه غير معلوم عند العباد.

والحكم في المتشابه الذي لا يدرك معناه الوقوف فيه والتسليم له والإيمان به أنه من عند الله.

والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله وما كان من خطأ فمني والشيطان.

هذا درس بجزأيه هما نهاية المقدمة في الدورة.

وهذا الدرس والذي بعده هما الأهمين لمعرفة كيفية بناء العقائد.

فإن فهمنا هذا الدرس صار الذي بعده أسهل بكثير.

ملخص نقاط الدرس:

١. المنهج الصحيح في إثبات وبناء العقيدة الصحيحة.
٢. القرآن ومنهجية الإثبات فيه من حيث المحكم والمتشابه.
٣. المتشابه أنواعه وموقعه من حيث الدلالة وبناء العقيدة.

النقطة الأولى: المنهج الصحيح في إثبات وبناء العقيدة الصحيحة:

من المعلوم أن العقائد هي عبارة عن مسائل غيبية لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، فلا يمكن لأي مخلوق كان أن يعلم ما لا تدركه حواسه لأنها محدودة بقدرتها ومحدودة بطاقتها والمدى الذي تصل إليه.

والعقل وإن ميز الله به البشر عن غيرهم من المخلوقات، لكنه لا يمكن أن يصل إلى ما لا طاقة له به، فهو محدود لا يمكن أن يتعدى هذا الحد إلا ببينة يقطع بها ما وصل إليه من أمر غيبي أو أمر مشاهد.

فإذا كان هذا العقل لا يستطيع أن يصل بقدرته المحدودة إلى بعض الأمور الكونية فكيف له أن يصل إلى الأمور الغيبية.

إذاً فلنعلم أن الغيب لله وحده ولا يصل إليه أحد من البشر إلا بأمر من الله سبحانه، يطلع على غيبه من يشاء من عباده، وقد كشف الله لبعض عباده من الأنبياء والرسل والصالحين ما لم يكشف لغيرهم، وهذا ليس حديثنا الآن.

هناك من المسائل الغيبية كشفها الله لنا في كتابه العزيز وكشفها لنا نبيه المصطفى سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - في أحاديثه الصحيحة، منها وجود الملائكة واليوم الآخر وما يشمل من بعث وحساب وثواب وعقاب وجنة وتشمل من نعيم ونار وما تشمل من أنواع العذاب وكذلك أطلعنا على أخبار القرون الغابرة وما حدث لهم وكذلك بعض ما سيكون.

فهذه الغيبات لا يمكن للعقل أن يصل إليها، فلهذا تحتاج إلى إثبات من جهة أخرى، وثبوتها لا يكون إلى بنقل عن وحي ظاهر وهو القرآن أو وحي باطن وهي السنة، فهذه هي إذاً المصادر التي يأخذ منها المسلم عقيدته لا غير.

هل على المسلم أن يأتي هكذا ويأخذ ما شاء مما يجده في القرآن والسنة أم أن هناك منهج وأسس يجب أن يعرفها ويتبعها كي يكون على يقين أن ما أخذه من عقيدة هو صحيح لا شك فيه، كون القرآن كما وصفه الله أن آياته في معانيها تنقسم إلى محكمات ومتشابهات؟

الجواب نعم... هناك منهج يجب أن يعرفه ويتبعه كي لا يقع في شيء من الأخطاء أو الضلال، كأن يأخذ مثلاً بآية ويبيني بها معتقد خاطئ تصوره بفهمه والآية قد تكون بخلاف ما فهمه لها، فقد تكون تحمل معنى يخالف ما فهمه هو.

ولمعرفة هذا المنهج تابعونا في النقطة الثانية بعد قليل.

نستخلص من هذي النقطة أن العقل محدود الطاقة لا يستطيع أن يصل للغيب، فلهذا لزمنا وجود شيء يوصلنا للغيب وهو القرآن والسنة.

النقطة الثانية: القرآن ومنهجية الإثبات فيه من حيث المحكم والمتشابه.

قلنا في الدرس أن اللفظ:

إما أن يكون واضح المعنى صريح المراد به.

وإما أن يكون ظاهراً في ما نظن أنه هو المعنى المراد منه، ولكن قد يحتمل معنى غير ذلك الظاهر الذي ظننا أنه هو المراد منه.

فإن كان اللفظ صريح واضح لا يحتمل غير ذلك المعنى للفظ فإنه محكم ويسمى نصاً قاطعاً من حيث الاستدلال.

كقوله تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله)

فهذا النص لا يحتمل إلا معنى واحد لا يمكن أن يحتمل غيره، فلا يمكن أن يأتي شخص ويقول أنه يحتمل غير هذا المعنى ويصرف المعنى إلى معنى آخر ويقع في الكفر.

ولتوضيح ذلك أكثر نأخذ هذا المثال:

قال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ َ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)

وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)

فلو سأل سائل وقال: أثبت لي رسالة محمد صل الله عليه وسلم من القرآن؟

بالتأكيد أن الآية الأولى هي النص القطعي في الدلالة على رسالة محمد، لأن اللفظ هنا جاء صريحاً واضحاً لا يحتمل معنى آخر.

وهذا ما نعنيه بالنص المحكم، فمن أنكر نبوة محمد ورسالته فهو كافر لأنه ثبت بالنص القطعي في دلالته.

وكذلك قلنا أن اللفظ قد يحتمل معنى مرجوح غير اللفظ الظاهر الذي ظننا أنه هو المعنى المراد، وهذا المعنى المرجوح لا يمكن أن تذهب إليه وتأخذ به، أي لا يمكنك أن تترك اللفظ الظاهر إلا

بقريئة والقريئة هي الدليل الذي به تركت اللفظ الظاهر وذهبت إلى المعنى الباطن للفظ وهذا هو ما يسمى بالتأويل، وهو عملية ترك الظاهر للفظ والذهاب للمعنى الباطن. أي ترك حقيقة اللفظ والذهاب إلى مجازة.

نأخذ مثالا لتقريب الفهم:

- رسم سالم في الكراسية

هنا لفظ رسم في الظاهر قد يراد كتب شيئاً أو خطه بيده ولكن هناك قريئة قد تصرف اللفظ (رسم) الذي ظننا أن المراد منه أنه (خط أو كتب) إلى معنى آخر مرجوح وهي قريئة (الكراسية)

لأن الكراسية لا تستخدم عادة للكتابة بالأحرف فيها وإنما للرسم وتصوير الأشكال فيها، وهذه القريئة صرفت اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر باطني مرجوح وهو أن سالما صور شكلاً بلا أحرف كشجرة مثلاً أو جبل في كراسيته.

إذاً نص القرآن المحكم إما أن يكون نصاً قاطعاً لا اجتهد فيه للبشر وإما ظاهراً قد يحتمل معنى غيره لوجود قريئة صرفته عن ظاهره.

هل عرفتم الفرق بين النص المحكم والظاهر المحكم؟

النص المحكم واضح ولا يحتمل معنى ثان

الظاهر المحكم واضح على حسب ظننا لوجود قريئة تصرفه الى معنى آخر مرجوح.

النقطة الثالثة: المتشابه أنواعه وموقعه من حيث الدلالة.

المتشابه كما قلنا هو ما خفي معناه وخفاء هذا المعنى ظاهر لنا لأنه إما أن يكون مجمل في ألفاظه أو تشبيه الله بخلقه، فالمجمل من إجماله واضح أن له معاني أخرى محتملة وهذا الإجمال قد يكون يدرك معناه بوجود القرائن التي توصل إلى معناه.

كلفظ السيئة مثلاً لا يعلم ما المراد بالسيئة في بعض الآيات أهي الشرك أم الكبيرة أم الصغيرة مع الإصرار فالوصول للمعنى المراد هنا يكون بالقرائن التي توضح لنا هذه السيئة.

وقد لا يدرك معناه إلا بتوقيف من الله وهذا النوع الذي لا يدرك معناه يلزمنا الوقوف فيه والإيمان به كما أنزل.

كحروف أوائل السور (كهيعص) (الم) أو كالأعداد المبهمة في بعض السور كقوله تعالى (عليها تسعة عشر) فلا نعلم ما المقصود بالتسعة عشر أو (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) ما هذه الثمانية؟ هل هي صفوف أم ماذا؟ فلهذا يلزمنا الإيمان بها والوقوف فقط.

هذا المتشابه المجمل

أما المتشابه الذي فيه تشبيه الله بخلقه فيلزمنا أن نرده إلى المحكم لأن لفظ التشبيه يكون واضحاً والقارئ اللفظية أو المقالية قوية في ذلك لتصرف لفظ التشبيه من الظاهر إلى المعنى الباطن.

وكذلك القرينة العقلية قوية في ذلك لأن الله لا يمكن أن يشبه شيء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه أبداً في أي معنى من معاني الصفات. فالعقل يمنع ذلك لأن الله كما قلنا واحد في ذاته وصفاته.

مثال:

قال تعالى: (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا).

طبعاً هنا لا يمكن عقلاً أن نفسر العين بالعين الحقيقية وإلا لزم من ذلك أن نصف الله بأن له عين حقيقية وأن سيدنا محمد كان فيها حقيقة (تعالى الله عن ذلك) وهذا محال لأن العقل يمنع ذلك فالقرينة العقلية هنا تمنع هذا المعنى في النص.

كذلك القرينة اللفظية أو المقالية كقوله تعالى (ليس كمثله شيء) تمنع أن تكون معنى العين في الآية هو العين الحقيقية لأن الله وصف نفسه بأنه ليس كمثله شيء فإن قلنا بالمعنى الحقيقي للعين، فقد أثبتنا أنه تعالى مثله شيء، وهو المخلوق ذو العين الحقيقية (تعالى الله عن ذلك) لأن المخلوق كالإنسان مثلاً له عين حقيقية.

فلهذا يجب علينا أن نرد مثل هذه الآيات التي فيها تشبيه الله بخلقه إلى الآيات المحكمة التي فيها تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه فكل آية فيها تشبيه هي آية متشابهة.

ونستخلص من هذا أن هذه الآيات المتشابهة تحتمل أكثر من معنى وبما أنها تحتمل أكثر من معنا فهي ليست قطعية كالأيات المحكمة التي فيها تنزيه الله، فدلالة هذه الآيات المتشابهة ظنية والظن لا يغني عن الحق شيئاً، وعليه فلا يمكن أن تبني العقيدة بآيات ظنية تحتمل معاني عدة.

نأخذ مثال للآيات المحكمة والمتشابهة

الآية الأولى:

قال تعالى: (نسوا الله فأنسيهم)

الآية الثانية:

قال تعالى: (وما كان ربك نسياً)

الآية الأولى ظاهراً تصف الله بأنه ينسى وهذا تشبيه بخلقه لأن النسيان صفة يتصف بها المخلوق والنسيان من صفات النقص.

الآية الثانية ظاهراً تصف الله أنه لا ينسى وعدم النسيان صفة كمال.

إذاً الآية المحكمة بلا شك هي الآية الثانية لأنها لا تشبه الله بخلقه بل تصف الله بصفة كمال، ونص هذه الآية لا يحتل إلا هذا المعنى ولا يمكن أن يصرف إلى معنى آخر.

فهذه الآية محكمة قطعية في دلالتها.

أما الآية الأولى فهي متشابهة لأن فيها تشبيه الله بخلقه، ولفهم معناها ترد إلى الآية الثانية المحكمة ويفسر النسيان فيها بالترك أي تركهم لأن النسيان في لغة العرب هو سهو وغفلة، والله لا يوصف بالسهو والغفلة.

فإذاً هذه الآية متشابهة ظنية في دلالتها ولا يبنى بها معتقداً أبداً.

ولكني تعمدت عدم اقتطاعه حتى لا تضعي الفكرة .

الخلاصة:

أن العقيدة تبنى بالمحكمات من الآيات لأنها قطعية في دلالتها لا تحتل إلا معنى واحداً. والمتشابهات من الآيات ترد إلى المحكمات لأنها ظنية في دلالتها لاحتتمالها معنيين أو أكثر.

الدرس الخامس ج ٢

منهج الاستدلال والإثبات العقائدي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وتبع خطاه، وبعد
بعد أن أخذنا الأصل الأول وبيننا فيه المنهج في إثبات العقائد، اليوم سنتابع نفس الدرس ومع
الأصل الثاني وهو:

السنة النبوية:

السنة النبوية كما قلنا هي ما صدر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير، وهي المصدر الثاني بعد
القرآن من مصادر التلقي في إثبات العقيدة .

وبما أن القرآن ينظر فيه إلى دلالاته فقط من حيث القطع في الدلالة وليس الثبوت وذلك لأنه
محفوظ لقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) من أن يزداد فيه أو ينقص وينكر
منه، فالسنة لا بد من أن ينظر فيها إلى قطعية ثبوتها و دلالتها. لأنها قد تكون تعرضت
للزيادات أو النقصان أو الوضع أو التدليس أو التلبيس والكذب على رسول الله وغيرها من العلل
التي تسقطها.

ومنهج الاستدلال فيها على النحو التالي:

تنقسم السنة إلى القطعية وهو المتواتر وإلى الظنية وهو الأحاد .

المتواتر:

هو ما رواه جماعة عن جماعة لا يجوز تواطؤهم على الكذب عادة.

وينقسم إلى تواتر لفظي: وهو ما روي بنفس الألفاظ.

كحديث (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) هذا الحديث رواه أكثر من اثنين وسبعين
صحابيا ، وعنهم جمع غفير وب نفس هذا اللفظ.

وتواتر معنوي: وهو ما روي بألفاظ مختلفة لكن يحمل في دلالاته نفس المعنى، كحديث (إنما
الأعمال بالنيات) فقد وردت أحاديث كثيرة بهذا المعنى ولكن تختلف الألفاظ .

الأحاد :

هو ما لم تكتمل فيه شروط المتواتر أو عدد الرواة الذين لا يحصل بهم حد التواتر.

ومنه المسند المتصل الذي يتصل سنده إلى رسول الله أو المرسل الذي سقط في سنده صحابي
أي يرويه التابعي دون ذكر الصحابي. أو الموقوف الذي سنده وقف عند صحابي أي أن

الصحابي روى الحديث من قبل نفسه دون ذكر النبي عليه الصلاة والسلام، أو المنقطع الذي يسقط فيه التابعي أو حتى الصحابي.

وحديث الآحاد لا يحتج به في العقيدة. لظنية تصحيحه فمن صححه من المحدثين أو الحفاظ من أهل العلم في هذا المجال إنما صححوه على حسب اجتهادهم .

كذلك العلة قد تكون في أحد الرواة لإمكانية توهمه وخلطه ونسيانه وغيرها، فهذه العيوب أو العلل تسقط حجية الاستدلال بالآحاد .

فائدة :

التواتر الذي يقطع به لا يكون إلا في السنة القولية، أما الفعلية فلا قطعية في دلالتها وكذا السنة التقريرية فهي دون السنة الفعلية دلالة، وقد وضعنا هذا في الدرس الرابع فليرجع إليه من أراد. يتكون الحديث من حيث تركيبه من سند و متن:

أولاً: السند:

هم سلسلة الرواة عن فلان عن فلان عن فلان الموصلة إلى المتن .

ثانياً: المتن :

هو ما انتهى إليه السند أو هو النص المنقول لنا من سلسلة الرواة.

ينقسم الحديث من حيث قبوله ورده الى صحيح وغير صحيح .

الصحيح :

هو ما اتصل سنده بنقل العدل عن مثله من غير شذوذ أو علة .

غير الصحيح :

هو الضعيف أو الموضوع أو المكذوب أو المضطرب وتتضح علته في السند أو المتن.

معلومة للأهمية :

« الروايات والأحاديث »

كما هو معلوم أنه يوجد الكثير عند المسلمين من كتب الحديث، وقد تم تدوين هذه الأحاديث بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بسنوات كثيرة ، كصحيح البخاري ومسلم وغيرها من كتب الأحاديث والمسانيد والسنن التي يعتبرها البعض أنها من أصح الكتب بعد القرآن، وكما هو معلوم أن الإسلام بعد أن انتشر في بقاع الأرض دخل فيه خلط كثير من كتب أهل الكتاب واختلطت الإسرائيليات بالسنة الثابتة وكثر الوضاعين والكذابين والقوالين على النبي ودخلت عقائد اليهود والنصارى في عقائد المسلمين وتم تبنيها للأسف من بعض الفرق الإسلامية وإلى يومنا هذا، وكذلك السياسة لعبت دوراً كبيراً في هذا الأمر.. والله الأمر من قبل ومن بعد..

وعلى هذا فإن الحديث الذي يعارض كتاب الله وإن ادعى من ادعى صحة سنده يضرب به عرض الحائط ولا كرامة إن لم يكن فيه وجه للتأويل.

فالكل يدعي التواتر ليثبت عقيدته وصحة مذهبه، وما هذا التواتر إلا تواتر طائفي داخل المنظومة التي هو ينتمي إليها أو ما يتبناه من معتقد، فالقرآن هو الكتاب المتواتر الملزم لجميع المسلمين والسنة الصحيحة التي لا تتعارض مع القرآن، وليس رواية يدعي مذهب ما صحتها وفي نفس الوقت تخالف كتاب الله..

والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله وما كان من خطأ فمني والشيطان.

النقاط باختصار:

النقطة الأولى: السنة النبوية ومكانتها.

النقطة الثانية: الحديث إما أن يكون متواتراً أو أحادياً.

النقطة الثالثة: سند ومتن الحديث.

النقطة الأولى: السنة النبوية ومكانتها.

لا شك أن السنة النبوية لها مقام عظيم عند المسلمين كونها المصدر الثاني للتشريع، ولكنها تختلف في قبولها وردّها من حيث نقلها لنا، فالقرآن منقول لنا جماعة عن جماعة أو أمة عن أمة من عصر النبوة إلى يومنا هذا وهو محفوظ حفظاً ربانياً، بحيث أنه لن يستطيع أي كان أن ينكر فيه شيئاً أو أن ينقص منه شيئاً أو أن يزيد فيه شيئاً، فهو قطعي في ثبوته سورة سورة وآية آية وحرّف حرف بلا شك ولا ريب ومن ادعى غير ذلك فقد وقع في أمرٍ عظيم يتحمل عواقبه عند الله..

إذاً القرآن قطعي الثبوت،، فماذا عن السنة النبوية؟ هل هي كذلك كما هو الحال في القرآن ثبوته قطعي؟

وكما هو معلوم أن كتب الأحاديث كثيرة فهل يصل ثبوت تلك الأحاديث عن النبي كثبوت القرآن؟

الجواب.. لا فقد تم التلاعب في السنة النبوية بعد وفاة النبي -عليه الصلاة والسلام - لأسباب عدة فلهذا نجد أن المذاهب تعددت في آرائها ولهذا السبب ابتدع علم جديد يسمى علم الحديث وعلم الجرح والتعديل للرواة.

لو رجعنا إلى زمن تدوين الأحاديث، فالنبي توفاه الله في السنة الحادي عشرة للهجرة وكتب الحديث دونت بعد وفاته بسنين عدة كصحيح البخاري مثلاً فالبخاري ولد في ١٦٤ هجرية

وتوفي في ٢٥٦ هجرية ومسلم كذلك صاحب كتاب صحيح مسلم ولد في ٢٠٦ هجرية وتوفي في ٢٦١ هجرية فهما أصحاب أشهر كتب الحديث.

فالبخاري ومسلم توفيا بعد النبي بسنين عدة وقد مرت الأمة بعد وفات النبي بفتن دينية وسياسية وتداخلت الشعوب فيها فاختلط الحابل بالنابل والغث بالسمين.

وقام من قام بوضع الأحاديث ونسبتها للنبي والكذب عليه فلهذا قام بعض العلماء بالنظر في صحة الرواية من عدمها من حيث الرواة الذين نقلوا الأحاديث وأخذ عنهم بعد ذلك مصنفى كتب الحديث.

ومن هذا نفهم أن الأحاديث النبوية ليست محفوظة كالقرآن الكريم، فيلزمنا من ذلك أن يكون هناك منهج لنكون حذرين في تلقي العقيدة من الأحاديث، وقد وضع العلماء منهجاً في ذلك وهو على النحو التالي.

يتبع في النقطة الثانية

النقطة الثانية: الحديث إما أن يكون متواتراً أو أحادياً.

منهجية قبول العقيدة التي ثبتت بالسنة يجب النظر فيها من حيث نقل الحديث إلينا، وهو إما أن يكون نقل نقلاً متواتراً أو نقل نقلاً أحادياً، فما هو المتواتر وما هو الأحاد؟

الحديث المتواتر كما قلنا هو الحديث الذي يتصل إسناده إلى النبي ونقله جماعة عن جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب عادة وكل جماعة روت الحديث لا يمكن تواطؤها أيضاً على الكذب حتى ينتهي النقل إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-.

وقلنا أن الحديث المنقول تواتراً إما أن يكون مروياً بنفس اللفظ أو مروياً بالمعنى أي تختلف الألفاظ ولكن المعنى واحد، وقد جعل أهل العلم شروطاً للمتواتر ولمعرفته وهي:

- ١ - أن يكون عدد الرواة جمع لا يقل عددهم عن الخمسة وقيل أكثر من ذلك والخلاف موجود.
- ٢ - أن يكون من نقلوا الحديث لا يمكن تواطؤهم على الكذب أي لا يمكن أن يتعمدوه عادة أو اتفاقاً بينهم أو يقع منهم الكذب ولو بدون اتفاق.
- ٣ - أن يكون مستند ما أخبروا عنه الحس كقولهم مثلاً سمعنا أو رأينا، ويخرج من ذلك الأمور العقلية لأنها قد يدخل عليها الغلط فلا تكون متواترة.

الحديث المتواتر كما وصفه العلماء إذا استكمل هذه الشروط فإنه يفيد العلم ويقطع بصدقه فيترتب عليه الأخذ بما يحمله من عقيدة أو عمليات أو تركيات ولا يجوز مخالفته سواءً بتأويل أو غيره لأنه نص قاطع من حيث الدلالة.

وباختصار... الحديث المتواتر قطعي يكون قطعي الثبوت بسبب عدد الرواة وقطعي الدلالة في المراد به من حيث الإثبات أو النفي سواءً كان هذا الحديث يثبت أمراً عقائدياً أو عملياً أو منهجياً

أما الحديث الآحاد فهو الحديث الذي لم تكتمل فيه شروط التواتر، وسمي آحاد نسبة إلى آحاد من نقله وهو يفيد الظن لا العلم ولا يؤخذ به إلا في أبواب الفقه وفروع العقائد لا أصولها، بشرط إن لم يخالف نصاً قرآنياً أو حديثاً نبوياً متواتراً.

ما معنى يفيد الظن ولا يفيد العلم؟

لنأخذ مثالاً:

في صحيح البخاري ومسلم: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى الظهر أو العصر ركعتين فسأله ذو اليمين قائلًا: يا رسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة؟

فقال له النبي: لم أنس ولم أقصر.. ثم قال للناس: أكما يقول ذو اليمين؟

فقالوا: نعم يا رسول الله.. فتقدم فصلى ما ترك ثم سلم.

نستنتج.. أن النبي عليه الصلاة والسلام أفاد عنده كلام الصحابي ذي اليمين الظن لاحتمال الوهم، رغم أن ذي اليمين صحابي ثقة ولكن النبي كي يطرد الظن باليقين سأل الصحابة الذي كانوا موجودين هناك وهم كثر وبهذا حصل التواتر واليقين فصلى النبي ما ترك.

وهذا فيه دلالة أن خبر الآحاد وإن كان متصلًا إلى النبي ويرويه الثقات فلا يفيد اليقين، وعمل النبي عندما سأل أصحابه عن صحة كلام الصحابي ذو اليمين كان فقط في مسألة في الصلاة وهي من العمليات فكيف في المسائل العقائدية؟

بلا شك أن خبر الآحاد لا يفيد العلم بها لظنية دلالاته وثبوته. ومنها كما ذكرنا قد يتوهم الراوي أو قد ينسى.

وهناك الكثير من الأدلة التي تثبت أن خبر الآحاد يفيد الظن ولا يفيد العلم اليقيني، ومنها ما صنعه الصحابة عندما ردوا أحاديث جاءت عن طريق بعضهم وسنوردها لاحقاً إن شاء الله كزيادة فائدة...

النقطة الثالثة: سند ومتن الحديث.

السند كما وضعنا في الدرس هو سلسلة الرواة الموصلة إلى نص الحديث.

أما المتن فهو نص الحديث المروي عن النبي صل الله عليه وسلم.

ولتوضيح ذلك نأخذ مثالاً:

هذا السند:

حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُهَاجِرٌ أَبُو الْحَسَنِ مَوْلَى لِبْنِي تَيْمِ اللَّهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ ، قَالَ :

وهذا المتن:

"كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ ، فَأَرَادَ الْمُؤَدُّنُ أَنْ يُؤَدَّ لِلظُّهْرِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبْرِدْ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُؤَدَّ ، فَقَالَ لَهُ : أَبْرِدْ حَتَّى رَأَيْنَا فِيءَ الثَّلُولِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَنِيحِ جَهَنَّمَ ، فَإِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ " .

لابد أن يكون متن الحديث لا اضطراب فيه وإن صح إسناده أو قيل أنه متواتر وهذا شرط مهم في قبول الأحاديث، أن لا يكتفى فقط بصحة السند، بل لا بد أن ينظر في المتن، لماذا؟

لأنه قد يدعي أحد تواتر حديث معين ولكن في متنه اضطراب بحيث لو جمعت بعض الأحاديث الأخرى تجدها تتناقض معه كحديث أن النبي دخل عليه صحابة في بيته وأثناء حديثهم غضب النبي عليهم وأخذ يسبهم، وهناك رواية أخرى عن النبي يقول فيها (سباب المسلم فسوق) وهاتين الروایتين موجودتين في صحيح مسلم وفيهما تناقض في ما بينهما كما أن النبي أخلاقه معروفة فلا يمكن أن يسب أحداً.

فلهذا يجب النظر في المتن كذلك ومن شروطه أن لا يخالف المتن نصاً قرآنياً أو حديثاً متواتراً آخر.

مسألة الرواة الذين روى الحديث ينظر فيهم من حيث توثيقهم، وتوثيقهم موجود في كتب مختصة بذلك وهي كتب ترجمة الرجال أو ما تسمى في علم الحديث بالجرح والتعديل. وهذه الكتب متوفرة لمن أراد المزيد في هذا العلم.

سأورد عليكم بعض الروايات التي ردها الصحابة أنفسهم لمخالفتها القرآن ولأنها أحادية النقل. رد الصحابة بعض أحاديث الأحاد الثابتة واستيثاقهم منها أحياناً أخرى.

١ - رد السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها على سيدنا عمر رضوان الله عليه في حديث ((تعذيب الميت ببكاء أهله عليه)) .

روى البخاري (فتح ١٥١/٣ - ١٥٢) ومسلم (٦٣٨/٢ - ٦٤٢) أن سيدنا عمر وابنه سيدنا عبد الله روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ((إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ)) فردت ذلك السيدة عائشة وقالت كما في صحيح مسلم (برقم ٢٧ في الجنائز) عن عمرة أنها سمعت السيدة عائشة وذُكرَ لها أَنَّ عبد الله بن عمر يقول : إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبِكَاءِ الْحَيِّ . فقالت السيدة عائشة : يغفر الله لأبي عبد الرحمن . أما إِنَّهُ لم يُكْذِبْ ، ولكنه نَسِيَ أو أخطأ . إِنَّمَا مَرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على يهودية يُبْكِي عليها فقال : ((إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهَا ، وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِي قَبْرِهَا)) .

قال الإمام الحافظ النووي رحمه الله تعالى في ((شرح صحيح مسلم)) (٢٨٨/٥) :

((وهذه الروايات من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما ، وأنكرت عائشة ، ونسبتها إلى النسيان والاشتباه عليهما ، وأنكرت أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك واحتجت بقوله تعالى : { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } قالت : وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

عليه وآله وسلم في يهودية أنها تعذب وهم يبكون عليها يعني تُعَذَّب بكفرها في حال بكاء أهلها
لا بسبب البكاء ((اهـ .

قلت : وجاء في عدّة أحاديث أن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بكى على الميت ، وسكت
عمّن على الميت أيضاً .

فمن تأمل هذا الحديث ((الميت يعذب ببكاء أهله عليه)) الثابت في الصحيحين وهو من أخبار
الآحاد ورد السيدة عائشة له بالنص القطعي في القرآن { ولا تز وازرة وزر أخرى } عرف أن
حديث الآحاد ولو رواه عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - اثنان فإنه لا يفيد إلا الظن ، وما
لا يفيد إلا الظن أي يحتمل فيه الخطأ كيف تُبنى عليه العقائد !!؟

وهل يجوز أن يعتقد المسلم في ذات الله تعالى بأشياء يحتمل أن يظهر له بعد ذلك أنها خطأ !!؟
ولماذا سمّيت عقيدة إذن إذا لم تكن مبيّنة على الثوابت التي لا يمكن أن يطرأ عليها ما يزيلها !!؟

٢ - رَدّت السيدة عائشة على من قال أو روى أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رأى
ربه وهو ابن عباس رضي الله عنه ، ففي صحيح مسلم (١٥٨/١ برقم ٢٨٤ و ٢٨٥) عن عطاء
عن ابن عباس قال : ((رآه بقلبه)) وقال : ((رآه بفؤاده مرّتين)) قلت : وقد قال الحافظ في ((
الفتح)) (٦٠٨/٨) أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ((رأيت ربي)) وذكر قبل ذلك
بتسعة أسطر أن ابن خزيمة روى بإسناد قوي عن سيدنا أنس أنه قال : ((رأى محمد ربه)) .

قلت : رَدّت السيدة عائشة رضي الله عنها جميع ذلك كما في البخاري (فتح ٦٠٦/٨) ومسلم
(١٥٩/١ برقم ٢٨٧) عن مسروق قال : قلت لعائشة رضي الله عنها : يا أمتاه ، هل رأى محمد
ربه ؟ فقالت : ((لقد فف شعري مما قُلت ، أين أنت من ثلاثٍ من حدّثكهنّ فقد كذب : مَنْ حدّثك
أنّ محمداً رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت { لا تُدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار وهو اللطيف
الخبير } { وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب { ...)) .

قلت : فانظر كيف رَدّت السيدة عائشة التي تفقّهت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الظنيّ بالقطعي .

فهذا فِكْرُ مَدْرَسَةِ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ - ورَدّت السيدة عائشة رضي الله عنها من قال : ((بال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قائماً)) لأنّها لم تره صلى الله عليه وآله وسلم يبول قاعداً أو أنّه أخبرها بذلك فكان ذلك من
اليقينيّات عندها ، ومن حدّث أنه بال قائماً مظنون عندها . فرواها له أو تحدّثه لها يقيني عندها
ورواية من قال : ((بال قائماً)) ظني

عندها فردّته .

روى البيهقي (١٠١/١) عن السيدة عائشة قالت : ((ما بال رسول الله قائماً مذ أنزل عليه
القرآن)) () وعند النسائي (٢٦/١) والترمذي (١٧/١ شاكراً) وابن ماجه (١١٢/١) برقم
٣٠٧ بلفظ : ((مَنْ حدّثكم أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يبول قائماً فلا تصدّقه)) .

٤ - وأنكرت السيدة عائشة على أبي هريرة في حديث آخر أيضاً :

روى أبو داود الطيالسي في مسنده ص (١٩٩) بسند صحيح على شرط مسلم عن علقمه قال كنا عند عائشة فدخل عليها أبو هريرة فقالت يا أبا هريرة أنت الذي تُحدّث أنّ امرأةً عُذِّبَتْ في هرة لها ربطتها لم تطعمها ولم تسقها فقال أبو هريرة سمعته من النَّبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فقالت عائشة :

أتدري ما كانت المرأة؟! قال : لا ، قالت : إنّ المرأة مع ما فعلت كانت كافرة ، إنّ المؤمن أكرم على الله من أن يُعَذِّبَه في هرة ، فإذا حدّثت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانظر كيف تُحدّث . وفي هذا الإنكار بيان صريح بأن خبر الواحد يحتمل الخطأ فكيف يبني عليه أصل الدين؟! ...

الدرس السادس

التوحيد ولازم التنزيه المطلق لله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأتقياء الموفين..
وبعد

اعلموا أن توحيد الله لا يتم إلا بالتنزيه المطلق لله عن كل ما لا يليق بجلاله، فلا يمكن أن يكون هناك توحيد بلا تنزيه، وفي هذا المقام سنتدرج إلى بعض المفاهيم والقواعد في إثبات التنزيه المطلق لله.

وقد عرفنا العقيدة في الإسلام سابقا وهي الإيمان الجازم بالله وأنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله وعبادته، والإيمان بما يترتب من ذلك من الإيمان بالرسول والأنبياء والملائكة والكتب واليوم الآخر والقضاء والقدر وكل ما قامت به الحجة من الإيمانيات .

ما هو التوحيد ؟

التوحيد هو إفراد الله بالوحدانية معتقداً ذلك اعتقاداً يقينياً أنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله وعبادته .

وقد أحسن الإمام الجبلي - رضي الله عنه - في قواعده عندما عرف التوحيد في ما معناه هو إفراد الرب سبحانه وتعالى عن الخلق وجميع معانيهم ، أي أنه تعالى لا يوصف بأي معنى من معاني صفات المخلوق وأفعاله فلا يوجد وجه شبه ولا مثيل، ولكي نبني هذه العقيدة في توحيد الله دون أن يزحزحها شيء، لا بد لنا أن نركز على أسس وقواعد نعود إليها عند التفصيل في الدروس ونعتمد عليها في تنزيهنا لله تعالى تنزيهاً مطلقاً في ذاته وأفعاله وصفاته .

وبما أن القرآن والسنة الصحيحة هما المصدرين، فلدينا بعض الآيات المحكمات التي لا تحتل في نصها معنى غير المعنى الصريح الظاهر الذي نصت عليه وهي عبارة عن أسس نقلية تثبت توحيد الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من صفات النقص والمثابة، ومن هذه الآيات:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

وقال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

نستخلص من معاني هذه الآيات أن الله أخبر عن نفسه أنه (ليس كمثله شيء) فيجب علينا:

أولاً :

تنزيه الله عن كل ما لا يليق به من صفات النقص والافتقار.

ثانياً :

يجب أن لا ننزل الله إلى منزلة المخلوق ثم نقيس بين الخالق والمخلوق فنصفه بصفات توجب الافتقار، ولا نرفع المخلوق إلى منزلة الخالق ونشبهه فيكون دخولاً في الشرك.. وسيأتي بيانه في تعريف الكفر.

مثال: لا نقول الله له يد لا كأيدينا. أو له عين لا كأعيننا، فهذا تشبيه وقياس بين الخالق والمخلوق

ثالثاً :

يجب علينا رد الآيات المتشابهات التي في ظاهرها تشبيه الله بخلقه إلى الآيات المحكمات لنستخرج من لفظ التشبيه المعنى الصحيح المراد به.

مثال:

كقوله تعالى: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) هذه الآية متشابهة أي أن الوجه في الآية لا يقصد به الصورة فلها معنى آخر فتدرد الآية إلى آية محكمة وهي كقوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وتفسر الآية على معنى بقاء ذات الله. أي كل شيء سيهلك في الوجود ويبقى الله الواحد الأحد.

كما قلنا سابقاً أن توحيد الله لا يمكن أن يكون إلا إذا قُرن بالتنزيه المطلق لذاته تعالى، وبما أن التوحيد هو إفراد الله في الذات والصفات والأفعال والعبادة، فيلزم على المكلف بناء على قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الذي قطع دابر كل مشبه ومجسم لله.

أن يعتقد في ذات الله أنه تعالى:

1 - لا شبيه له

والشبيه: هو المماثل في أكثر الصفات.

2 - لا مثيل له

والمثيل: هو المشابه في جميع الصفات .

3- لا ند له

والند: هو المنافس المضاد.

فغاية التوحيد هو إفراد الله بكل صفة من صفات الكمال التي تليق بجلال الله نافيا عنه كل صفة افتقار، لأنه هو الغني فالله سبحانه وتعالى كان ولم يكن شيء معه ولا غيره، وخلق المكان والزمان وكل الموجودات وهو على ما كان لم يتغير ولم يتأثر بعد خلقه للمخلوقات، هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء، واحد في ذاته وواحد في صفاته وواحد في أفعاله لا يشابهه شيء ولا يماثله شيء ولا منافس له في هذا الكون ولا مستحق للعبادة إلا هو وإذا كان ليس كمثله شيء فيلزم من ذلك أنه ليس بجسم ولا عرض.

سؤال:
لماذا لا نعتقد أن الله جسم أو عرض؟

الجواب:
لأن الجسم هو شيء محسوس يفتقر إلى المكان والزمان فلا يمكن وجوده بلا مكان أو زمان أو جهة أو ثقل أو تحيز أو إحاطة وغيرها من الصفات التي لا ينفك الجسم عنها فحدوثه يجعله يتصف بصفات النقص والافتقار.

أما الله سبحانه وتعالى هو خالق المكان والزمان، لم يكن هناك إلا هو، أول بلا بداية، آخر بلا نهاية، صفاته صفات كمال ذاتي لا يتصف بصفات مستحيلة تضاد صفاته الذاتية في ذاته كما هو حال المخلوق. فوجب علينا تنزيهه عن الجسمية لعدم حاجته للمكان قبل خلقه فكيف سيحتاج له أو يتأثر به بعد خلقه.

وأما العرض فهو شيء معنوي لا يقوم إلا بالجسم فالعرض مفتقر للجسم ومتأثر بالمكان والزمان أيضا. فإذا كان الله ليس جسما فكيف يكون عرضا والعرض لا يقوم إلا بجسم.

مثال على الجسم والعرض:

الشمس تعتبر جسم وضوؤها وحرارتها عرضان وكذلك الكهرباء تعتبر عرض والسلوك الذي تمشي فيه جسم.

والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله وما كان من خطأ فمني والشيطان.

درس اليوم نستطيع أن نقول فيه أن بداية دروس العقيدة أي ما يلزمنا اعتقاده في حق الله.. وذلك بعد أن انتهينا من مقدمة الدورة والأسس التي بها نعلم كيف هو بناء المعتقد الصحيح.: جعلت الدرس في نقطتين
لأن الدرس سهل جدا.. جعلت التعليق قصير جدا ومبسط، لأنه لا داعي للزيادة فيه.
وكذلك بقية الدروس ستكون سهلة، لأنها ستتكم عن المسائل التي تلزمنا اعتقادها في ذات الله ، وعن المسائل التي يلزمنا نفيها عن ذات الله.

النقطة الأولى: التوحيد في الشرع هو أفراد الله بالوحدانية المطلقة في كل وصف، وفي كل فعل وفي العبودية وفي الألوهية.

فالمقصود بتوحيد الله من جهة الصفات، أنه تعالى لا يوصف بأي معنى يلزم النقص، ولا يوصف بأي معنى يلزم الكمال بعد النقص، ولا يوصف بأي معنى يتصف به خلق من مخلوقاته.

فمعاني صفات الله مغايرة عن معاني صفات مخلوقاته، وقد يتساءل البعض ويقول: كيف لا نصف الله بمعاني صفات خلقه والمخلوق يطلق عليه اللفظ نفسه، كوصفنا الله بأنه عليم فكذلك نصف الانسان بأنه عليم وكذلك سميع وبصير وحي وغيرها من الصفات؟

الجواب،، على هذا الإشكال أن تشابه الصفات من حيث اللفظ لا يلزم منه تشابه الصفات من حيث المعنى، لأن إطلاق اللفظ يراد به تقريب الأذهان فقط. فعندما نقول: الله عليم فالمراد بذلك مدلول العلم لا اللفظ نفسه، لأن ماهية الشيء ليست اللفظ نفسه وإنما اللفظ علامة يراد بها ماهية الشيء وكذلك الصفات يراد بها مدلولها لا ألفاظها. وسنتطرق إلى مسألة الصفات في الدرس القادم.

أما توحيد الله من جهة أفعاله تعالى فكما هو معلوم أن أفعال الله مغايرة عن أفعال مخلوقاته،، فأفعال مخلوقاته لا تكون إلا بمحاولة ومزاولة وتعبد وحركة وغيرها من اللوازم التي قيدت بها أفعال الخلق لإتيانها.

فالله سبحانه وتعالى إن أراد أن يُكَوِّنَ شيئاً أو إيجاده، فذلك الشيء لا يكون إلى وفق إرادته، فلا توجد واسطة بينه وبين ما يريد إيجاده كواسطة قول أو واسطة فعل كما هو الحال في فعل المخلوق فلهذا لزم توحيد الله في أفعاله واعتقاد أن أفعاله ليست كما هو الحال في أفعال المخلوقات من إنسان وغيره.

أما توحيد الله من جهة العبودية فلا بد من ذلك لأنها الغاية الأسمى، فلا يعبد غيره ولا يشرك في عبادته أحد لأنه لا يستحقها بحق غيره تعالى.

أما من جهة توحيد الله في الألوهية فهذا واجب لأنه لا يمكن أن يكون هناك أكثر من إله، وإلا لصار التنازع في هذا الوجود، ولما كان هناك توحيد أصلاً.

النقطة الثانية: من المعلوم أن الموجود هو شيء، والشيء إما أن يكون جسماً أو عرضاً وهذا كله يقع في دائرة المحدثات.

ويخرج من هذا كله الخالق سبحانه وتعالى، لأنه هو الخالق الصانع ولا يمكن أن يكون جسماً أو عرضاً لعدة أسباب، نذكر منها: أن الجسم هو شيء محسوس قائم بذاته يتصف بصفات هي غيره والجسم مقيد بلوازم لا تنفك عنه وقد تكون هذه اللوازم ذاتية، أي غير منفصلة عنه، وقد تكون هذه اللوازم خارجية منفصلة عنه، ولكنه مقيد بها لا ينفك عنها.

ومن اللوازم الذاتية اللون والشكل والتحيز والثقل،، فلا يمكن أن يكون الجسم بلا شكل أو لون أو تحيز أو ثقل، فهو لا يمكن أن ينفك عن هذه اللوازم.

أما اللوازم الخارجية هي كالمكان والجهة والزمان والحلول فلا يمكن أن يكون هناك جسم موجود بلا مكان يحويه أو زمان يجري عليه أو جهة متحيز فيها فهذه اللوازم تقيد الجسم فتجعله

لا ينفك عنها.

وعلى هذا، فالجسم لا يمكن وجوده بلا صفات توجب افتقاره لها، ولو تأملنا في هذه اللوازم التي ذكرنا لوجدناها هي مخلوقة محدثة أيضاً.
والسؤال المطروح: هل الله يوصف بهذه الصفات كما هو الحال في الجسم؟ وهل الله يوصف بأنه مقيد بلوازم الجسمية؟

الجواب: لا.. لأن الله كان موجوداً قبل خلق المكان والزمان والجهات وقبل خلق المخلوقات جميعاً فبعد أن خلقها لم يتأثر بأي شيء منها، لا بمكان ولا بزمان ولا بجهات، فهو على ما كان لم يتغير ولم يتأثر ولم يتبدل.
فلهذا لا يوصف الله بأنه جسم، ولا يلزم من وجوده أن يكون شيئاً محسوساً أو جسماً ملموساً - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -.
أما العرض فكما قلنا، أن العرض هو شيء موجود ولكنه لا يمكن أن يقوم بذاته، بعكس الجسم.
العرض هو شيء يقوم في الجسم أو بالجسم كالشعاع والصوت والبرودة والحرارة والحمى واللون وغيرها.
فإذا كان الله ليس جسماً أو كالجسم فهذا يعني أنه لا يمكن أن يكون عرضاً، لأن العرض محتاج للجسم لا ينفك عنه.

فيلزمنا أن ننزه الله تعالى عن مشابهة خلقه من كل معاني صفاتهم، لأنه منفرد واحد لا توصف ذاته كما توصف ذوات المخلوقات.
وأما بخصوص الآيات التي تحمل ألفاظاً توهمنا أنه تعالى يشابه مخلوقاته، كالآيات التي تذكر اليد والساق والوجه والعين وغيرها فقد بينا أن تلك الألفاظ من المتشابهات، التي تحتل معاني عدة ويلزم ردها إلى المحكمات التي تنزه الله تعالى واستخراج المعنى المراد من الآية..

الدرس السابع

صفات الله الذاتية والفعلية

بسم الله الواحد الأحد المنزه عن الشبيه والمثيل والند والو لد.. وبعد :

صفات الله تعالى تنقسم إلى:

١ - صفات ذاتية

٢ - صفات فعلية

أما الصفات الذاتية:

هي ما اتصف به سبحانه وتعالى منذ الأزل وفي ما يزال وهي واجبة لذاته لأنها كمالات ولا تجامع أضدادها لأن أضدادها هي صفات دالة على نقص لا يمكن أن يتصف بها الله تعالى فأضدادها صفات مستحيلة عليه .

وعليه فإن الصفات الذاتية هي صفات واجبة لله وأضدادها صفات مستحيلة عليه. والمراد بالصفات الذاتية هنا هو مدلول الصفات لا الألفاظ.

لأن إطلاق اللفظ هنا لتقريب الأفهام للذهن فقط. ومعلوم أن اللفظ هو الدال على ماهية الشيء وليس الشيء نفسه.

ولتقريب الأفهام نضرب مثالا:

فلو قلنا مثلا: (ملح) لن نحس بطعم الملح ف اللسان، فلفظ الملح ليس هو ماهية الملح، وإنما هو الدال على ماهية الملح.

فالمراد بصفات الذات إنما هو مدلول تلك الصفات وليس اللفظ.

ومعنى الصفات واجبة له: أي أن العقل لا يمكن له أن يتصور عدم وجودها لأنها كمالات.

ومعنى الصفات المستحيلة عليه: أي أن العقل لا يمكن له أن يتصور وجودها لأنها افتقارات ونقص.

مثال:

١ - صفة الحياة صفة ذاتية وضدها الموت فالله يستحيل عليه الموت

٢ - صفة العلم صفة ذاتية وضدها الجهل فالله يستحيل عليه وصف الجهل

٣ - صفة القدرة صفة ذاتية وضدها العجز فالله يستحيل عليه وصف العجز

٤ - صفة السمع صفة ذاتية وضدها الصمم فالله يستحيل عليه وصف الصمم

٥ - صفة البصر صفة ذاتية وضدها العمى فالله يستحيل عليه وصف العمى

وهكذا هي صفات الذات: هي الصفات الواجبة في حقه تعالى التي لا تجامع أضدادها اتصف الله بها منذ الأزل وفي ما يزال.

الصفات الفعلية:

هي الصفات التي اتصف بها في ما يزال من إحياء وإماتة وبعث وحساب وإعطاء ومنع وإظهار وإخفاء وإعزاز وإذلال. فهي صفات يوصف الله بها في ما يزال عند اختلاف المحل، إذ لم يكن في الأزل خلق.

الخلاصة:

أن الصفات الفعلية هي الصفات التي تجامع أضدادها وهي جائزة في حقه تعالى لأنها لا تؤدي إلى نقص في ذات الله لأنه يتصف بها وبأضدادها.

فائدة مهمة:

هل صفات الله الذاتية هي صفات زائدة على الذات أم هي عين الذات ؟

الجواب:

لنأخذ مثال على صفات الإنسان:

ولله المثل الأعلى

الإنسان يتصف بصفات ولو تأملنا في هذه الصفات سنجد أنها غير ذات الإنسان فمثلا العلم، هل علم الإنسان هو ذاته أم هو شيء زائد على الذات؟

الإنسان يولد جاهلاً ومع مرور الأيام والسنين يبدأ يكتسب هذا العلم شيئاً فشيئاً، وقد يتأثر علمه هذا بعوارض قد يتعرض لها وقد ينسى شيئاً ويجهل شيئاً.

إذاً علمه مركب زائد على الذات، وكذلك البصر هو صفة زائدة على ذاته يعمل بجارحة مركبة في الذات كي يبصر بها وقد يتأثر بصره لعوارض قد يتعرض لها، وكذلك سمعه مركب وزائد على ذاته وأيضاً قدرته.

إذاً المخلوق صفاته افتقارية محدودة مركبة زائدة على الذات.

ومن هذا نفهم أن الإنسان مركب من ذات وصفات هي غيره.

هل يتصف الله بنفس المعنى الذي يتصف به المخلوق أعلاه ؟

الجواب:

قطعاً لا.. فصفات الله هي عين ذاته، بمعنى أن مدلول صفاته تعالى هي عين ذاته وليست غيرها، فليس هناك أداة زائدة لتقوم بعملية السمع أو البصر أو العلم أو القدرة، فالله سبحانه وتعالى عليم بمعنى أن كل المعلومات منكشفة لذاته وبصير بمعنى أن كل المبصرات منكشفة لذاته انكشافاً تاماً وسميع بمعنى أن كل الأصوات منكشفة لذاته انكشافاً تاماً دون الحاجة إلى شيء زائد قائم بذاته كي يسمع به أو يبصر به أو يعلم به أو يقدر به ، فهذه الصفات هي كمالات

كل صفة تعبر عن الذات باللفظ المناسب لها في أذهاننا، وإنما هي معاني اعتبارية فقط لا حقيقة لها خارج الذات اتصف الله بها لنفي أضدادها فقط، وأضدادها هي الصفات المستحيلة على الله .

الخلاصة:

أن صفات الله هي معاني اعتبارية اتصف الله بها لنفي أضدادها وليست معاني حقيقية زائدة على الذات، فالله لا يسمع بسمع وإنما بذاته ولا يبصر ببصر وإنما بذاته ولا يعلم بعلم وإنما بذاته وهكذا سائر الصفات الذاتية .

قد يسأل سائل ويقول لماذا لا نصف الله بأنه بصير ببصر عليم بعلم قدير بقدرة سميع بسمع؟ أو يقع في إشكال ويقول لو قولنا أن سمعه وبصره وعلمه هي نفسها ذاته فهذا يعني أن هذه الصفات تكون مركبة في بعضها البعض وقد يسمع ببصر ويعلم بسمع ويقدر بحياة وهكذا؟

الجواب:

أولاً: ذات الله ليست مركبة كذوات المخلوق، فذات الله سبحانه وتعالى ليست جسماً ولا تتركب من أعضاء كل عضو يقوم بمهمة معينة كالمخلوق (ليس كمثله شيء).

ثانياً: قلنا أن صفات الله هي معاني اعتبارية وليست حقيقية.

بمعنى أن صفاته ليست غير ذاته لأن ذات الله قائمة مقام ذات وصفات، فلو قلنا أن صفاته معاني حقيقية وقلنا أنها عين ذاته فيلزم من ذلك أنها صفات مركبة بعضها فوق بعض، ولكن نحن لا نقول بذلك وإنما نقول: صفات الله هي معاني اعتبارية وليست معاني حقيقية، وبهذا يسقط السؤال.

والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله وما كان من خطأ فمني والشيطان.

درس اليوم سنعلق عليه دون تقسيمه إلى نقاط كبقية الدروس:

صفات الله تعالى:

كما قلنا أن الله تعالى يتصف بصفات تنقسم إلى صفات ذاتية وصفات فعلية وقد عرفنا كلاً من هذه الصفات.

فالصفات الذاتية: هي الصفات التي اتصف الله بها منذ الأزل وفي ما يزال أي ليس لها بداية ولا نهاية لا تنفصل ولا تنفك عن الذات.

وقد عبر عنها بعضهم بالصفات الواجبة بمعنى أنها لا يمكن للعقل أن يتصور عدم وجودها، وعبر عنها آخرون بأنها لا تجامع أضدادها لأن أضدادها صفات نقص والنقص مستحيل أن يتصف الله به، لأن العقل لا يمكن أن يتصور وجوده في حق الله، الصفات يراد بها في حق الله مدلولها ولا يراد بذلك لفظ الصفة، وكذلك أسماء الله يراد بها مدلول الاسم وليس لفظ الاسم لأن صفات الله وأسماءه هي عين ذاته تعالى وليست غيره، وهي عبارة عن معاني اعتبارية يراد بها نفي أضدادها عن ذات الله وليست معاني حقيقة قائمة بذات الله.

ومعنى معاني حقيقية: أي أنه ليس هناك صفة مركبة مع الذات كما هو الحال في المخلوق فذات الله قائمة مقام ذات وصفات.

وأما المخلوق فذاته مغايرة عن صفاته فالذات غير والصفات غير. وبالنسبة لأسماء الله، هي في الأصل صفات وليست أسماء كما هو معلوم عندنا وإنما أطلق عليها أسماء تجوزاً وليس حقيقة، لأن الاسم لا يفيد مدح أو ذم كما هو الحال في الصفة. نضرب مثالا لتقريب الفهم:

لو شخص اسمه صالح، قد يكون هذا صالح بعكس معنى اسمه فقد يكون شخص ذو أخلاق سيئة فاسمه لا يدل على صلاحه وإنما الصفات التي يتصف بها تدل عليه إن كان صالحاً أو سيئاً. من المعلوم أن ذات الإنسان كذلك تتصف بصفات ذاتية كما هو الوصف في ذات الله فما هو الفرق بين الصفات هنا، وقد يطلق لفظ الصفة نفسه لله وللإنسان؟ أين يكون الفرق في الصفات عندما نصف الله ونصف المخلوق؟

الجواب: نعم.. يطلق اسم الصفة عند الله كما هو الحال من لفظ الصفة عند الإنسان، ولكن هناك فرق.

والفرق يكون في معنى الصفة في حق الله ومعنى الصفة في حق المخلوق، وقد وضعنا في الدرس كيفية اتصاف الإنسان بهذه الصفات الذاتية وتبين لنا أنها صفات محدثة أي سبقها عدم وقد اكتسبها الإنسان تدريجياً وقد تذهب عنه وهو في حياته، فعلى هذا المعنى فصفات الإنسان عبارة عن صفات مغايرة عن الذات وتحصل عليها بعد نقص في ذاته. الفرق في المعنى

أما في حق الله فمعناها مغاير، لأنها لم تسبق بعدم فهي قديمة لا بداية لها وأولية لا نهاية لها، ولم توجد بعد نقص، ومعناها غير حقيقي بل اعتباري لا حدود لها ولا تنقص ولا تزيد بل هي كما هي كاملة كمالاً لا بعد نقص، بل هو كمال ذاتي، لم يكتسبها الله على مرور الزمن ولم تسبق ذاته صفاته ولم تسبق صفاته ذاته لأنها عين الذات، وعندما ذكر الله لنا هذه الصفات في القرآن أو السنة إنما أراد أن يوصل لنا أنه لا يتصف بأضدادها.

فعندما ذكر لنا أنه سميع أراد أن يخبرنا أنه لا يتصف بضد السمع وهو الصمم. وعندما ذكر لنا أنه بصير أراد أن يخبرنا أنه لا يتصف بضد البصر وهو العمى. وعندما ذكر لنا أنه عليم أراد أن يخبرنا أنه لا يتصف بضد العلم وهو الجهل. وهكذا بقية الصفات، وليس كما يفهم البعض أن الله أثبت لنفسه هذه الصفات يريد بذلك أنه يتصف بصفات ذاتية هي غيره مركبه على الذات كما هو الحال في المخلوقات، فهذه معاني حقيقية زائدة على الذات وهي عبارة عن واسطة في الذات ليسمع ويبصر ويعلم وهذا محال على الله لأنه لا يتصف بهذا المعنى إلا المخلوق.

فالمخلوق بحاجة لواسطة كي يسمع وواسطة كي يبصر وواسطة كي يعلم فأصبحت ذاته أي المخلوق مركبة من ذات وصفات هي غيره.

بالنسبة لبعض الصفات كالسمع والبصر، لو تأملنا في هذه الصفات من حيث المخلوق لوجدنا أن المسموعات والمبصرات هي أشياء تتجدد بالنسبة إلينا كمخلوقات،، فمثلاً الشيء الذي سآراه بعد لحظات أجهله وكذلك ما سآسمعه بعد لحظات أجهله وعندما يقع ذلك الشيء المبصر أو المسموع يكونان شيئاً جديداً على بصري أو سمعي.

فهل الله تعالى عند انكشاف المبصرات و المسموعات لذاته تكون شيئاً جديداً له أيضاً؟ وكذلك المعلومات هل هي كما هو الحال عند المخلوق تكون المعلومات شيئاً متجدداً في حق الله؟

الجواب لا: فانكشاف جميع المسموعات والمبصرات والمعلومات هو علمه بها منذ الأزل وليس تجدد الأصوات والمرئيات والمعلومات لله كما هو الحال في المخلوق.

أما الصفات الفعلية: فهي كما قلنا هي الصفات التي اتصف الله بها في ما يزال أي أنه لم يكن متصفاً بها في الأزل إلا أن تكون قديمة في علمه، لأن الله كان ولم يكن شيئاً غيره ولا معه هو الأول والأزلي ولم يكن هناك مخلوقات قبل خلقها ليحيي ويميت ويذل ويعز ويرفع ويخفض ويعطي ويمسك فهذه الصفات الفعلية اتصف بها وبأضدادها عند خلق الخلق فهي كما تسمى صفات جائزة في حق الله.

ومعنى اتصافه بها في ما يزال عند اختلاف المحل أي عند اختلاف المكان والزمان فهو يحيي في محل ويميت في محل آخر وفي زمانٍ آخر وهكذا.

معلومة للأهمية:

نود التنبيه أن هناك من الفرق من لم يكتفي بالصفات الذاتية التي لا تجماع أضدادها والتي وضحناها ووضح معناها في حق الله، فقام يثبت لله صفات هي في الحقيقة ليست بصفات ولكنهم يدعون زوراً أنها صفات فقد أثبتوا لله (اليد والساق والجلوس والهولة والوجه والصورة والجنب والعين والكف والأصابع واللهة والشفاه وغيرها)

وقالوا إن هذه صفات الله الخيرية ثبتت بالخبر أي أن الله ورسوله أخبروا بها، بمعنى آخر أن العقل لا يثبتها ولكن الخبر من أثبتها، واستندوا في ذلك على آيات متشابهة عطلوا بفهمهم لها اللغة العربية التي نزل بها القرآن.

وهذه في الأصل ليست صفات وإنما هي جوارح ولم يعهد في اللغة العربية أنها جاءت بمعنى صفات وإنما بمعنى جوارح وأبعض لا يتصف بها إلا الجسم، فشبهوا بذلك الله بخلقه وقاسوا بين الغائب والشاهد وجعلوا مثل خلقه فوقعوا مثل ما وقع غيرهم من الأمم السابقة التي انحرفت.

لأنه في الأصل كما قلنا، الصفات الذاتية وصف الله بها نفسه لينفي أضدادها فمثلاً:

صفة الحياة ضدها الموت.

صفة العلم ضدها الجهل.

صفة السمع ضدها الصمم.

صفة القدرة ضدها العجز.

لكن لو أتينا على الجوارح التي أثبتوها لله وقالوا إنها صفات كمثل:

العين فما هو ضدها

اليد ما هو ضدها

الساق ما هو ضدها

ليس لها ضد .

لو سلمنا جدلاً لهم،، فما هو الداعي لإثبات هذه الجوارح كصفات ذاتية؟

لو جننا للمخلوق الذي به يد فاليد فيه خلقت لنقص وحاجة فلولاها لما استطاع أن يحمل ويأكل ويمسك وغيرها من الأفعال.

لو جننا للقدم خلقت لنقص وحاجة فلولاها لما استطاع أن يمشي ويتحرك ويركل ووووو والكثير من الأفعال التي تقوم بها اليد.

والكثير من الجوارح التي خلقها الله للمخلوق لأنه مفتقر لها فقد خلقها الله لنقص وحاجة في

المخلوق، فهل الله بحاجة إلى هذه الجوارح التي يسمونها صفات؟

ثانياً هذه أبعاد فلو وصفنا الله بها لكان جسماً مركباً من أبعاد وهذا محال على الله لأنه ليس كمثله شيء.

كذلك قالوا ليفروا من التشبيه أن هذه الصفات كاليد والساق والكف والأصابع هي في حق الله معلومة المعنى مجهولة كيف فكيفيتها لا نعلمها فلماذا لا نشبه الله بخلقه.

وهذا الكلام مردود وفيه هروب من التشبيه فلا دليل لأن المعنى إذا كان معلوماً فهو يكفي للتشبيه ولا داعي لمعرفة الكيفية.

فلو قلنا مثلاً (اليد) فاليد في اللغة معلوم معناها وهي كما نعرف فهل هنا سقط معنى الجسمي عن اليد بإنكار كيفيتها؟

الجواب.. لا لأنه لا معنى لليد غير المعنى الجسمي ومن قال غير ذلك فليأتنا بدليل من اللغة أن هناك معنى لليد غير المعنى الجسمي فلن يجد.

فلو مثلاً: قال لنا شخص أنه مرة رأى مخلوقاً غريباً له ثلاث أعين وأربع أقدام ويدان اثنتان دون أن يخبرنا بكيفيتها، فمن المؤكد أن معنى اليد ومعنى القدم ومعنى العين معلومة لدينا فذهننا لن يذهب خارج المعنى الذي نعلمه والذي نتصوره داخل الأذهان فيكفي التشبيه هنا من جهة المعنى المعلوم.

فمن قال أن الله له عين ويد وساق ووجه وأصابع وغيرها من الطامات فهو مشبه مجسم لا محالة ولا مفر له من ذلك.

وجمهور الأمة الإسلامية على تنزيه الله تعالى من هذه الطامات إلا فئة قليلة انحرفت عن هذا الإجماع، والحمد لله على نعمة التنزيه.

الدرس الثامن ج ١

تنزيه الله عن رؤية المخلوقات لذاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.. وبعد:

من العقائد التي لا بد على من ينزه الله سبحانه وتعالى، أن يعتقدها ويتمسك بها دون شك أو ريب هي تنزيهه تعالى عن الرؤية البصرية، سواء كانت في الدنيا أو في الآخرة فذاته تعالى لا تدرك بالأبصار كما تدرك ذوات المخلوق وهذه من صفاته تعالى ومن كمالاته.

لو عدنا إلى الدرس الذي كان بعنوان التوحيد ولوازم التنزيه المطلق لله فقد وضحنا أن هناك أسسا وقواعدا يبني المسلم عليها معتقده في ذات الله ومنها الآيات المحكمة كقوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، وقوله تعالى: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)، وقوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وغيرها من الآيات التي تنزه الله عن عدم مشابهة مخلوقاته بأي معنى من المعاني التي يتصف بها المخلوق .

ومن الأدلة القرآنية والعقلية والتي من خلالها يبني المعتقد الصحيح أنه تعالى لا يمكن لصفاته أن تتأثر أو تتغير أو تتبدل لا في الدنيا ولا في الآخرة، ومثال ذلك:

كقوله تعالى : (لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ) ففي الآية إثبات لكمال في الذات وإثبات ضده نقص للذات ومستحيل على الذات. فلا يجوز أن يقال لا تأخذه سنة ولا نوم في الدنيا فقط أما في الآخرة ستأخذه سنة ونوم تعالى الله عن ذلك .

وكذلك قوله تعالى : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) فلا يجوز أن يوصف بعدم إدراك أبصار خلقه له في الدنيا ولكن في الآخرة ستدركه .

إذاً نفهم من هذا كله أنه تعالى صفاته لا تتغير ولا تتأثر فما اتصف بنفيه عن ذاته في الدنيا فإثبات ضده نقص ودم سواء في الدنيا أو في الآخرة .

الأدلة العقلية على استحالة رؤية الله:

من المعلوم أن المعنى المعلوم للرؤية في العالم المخلوق أنها لا تقع إلا على الجسم أي لازمه أن يكون من جسم إلى جسم ولا بد أن يكونا متواجهين بينهما فاصل وكذلك لا بد أن تقع في مكان والجسمان حالان فيه متناهيان من جميع جهاته وعلى أقل تقدير في الإحاطة أن تكون من جهة معينة من المرئي.

وكل هذه المعاني مستحيلة على الله تبارك وتعالى، لأنها إلزاعات تجعل ممن يتصف بها مفتقراً وذا نقص. فكيف لخالق السموات والأرض ذي الكمال المطلق أن يكون حالاً في خلقه محاطاً بالمكان متناهيّاً بالجهات متأثراً بالزمان محدوداً بالمكان، وهو لم يكن كذلك قبل خلقه. فلا أظن أن هناك من ينكر أن الرؤية حلول في المخلوق، فلو سلمنا مثلاً تسليم جدل لا إثبات إن الله

سيرى في الجنة، أليست الجنة مكان ومن مخلوقات الله؟ فهل سيحل الله في خلقه بذاته؟ والله منزله عن الحلول في المخلوقات، والأصل أن القديم لا يحل في الحادث.

أما الأدلة النقلية : وهي من القرآن والسنة الصحيحة، وأولها من:

القرآن الكريم:

أما من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فأولها الآية المحكمة وهي قوله تعالى (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ).

فيها دلالة صريحة وصف الله بها نفسه متمدحاً بعدم إدراك الأبصار له لا في الدنيا ولا في الآخرة وهي الآية نفسها التي استدلت بها السيدة عائشة كما في مسند الإمام الربيع و صحيح البخاري ومسلم عندما سألها مسروق هل رأى محمد ربه؟ فأجابته رضي الله عنها بهذه الآية الشامخة المحكمة بنفي الرؤية، وكلامها رضي الله عنها أيضاً فيه رد على من فسر الإدراك في الآية بالإحاطة. فسؤال مسروق كان حول الرؤية وليس حول الإحاطة فلو كانت الآية تتكلم عن الإحاطة لما استدلت بها السيدة عائشة في نفي الرؤية .

سيقول قائل:

لا تدركه الأبصار في الدنيا ولكن تدركه في الآخرة؟

الجواب :

الجواب على هذا أنه كلام باطل وتفسير عاطل، فكما وضحنا أعلاه أن صفات الله لا تتغير ولا تتبدل فما تمدح الله بنفيه عن ذاته في الدنيا فإثبات ضده نقص وذم له.

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى :

(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي ۖ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ سُجَّدًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) نص صريح دال على نفي الرؤية بقوله (لن تراني) ولن تفيد تأييد النفي لأن صفاته تعالى لا تتبدل ولا تتغير، ومن الآيات التي تشبهها من حيث نفي التأييد قوله تعالى (لن يخلقوا ذباباً) ولن هنا تفيد النفي المؤبد ولم تأتي مقيدة بزمان.

سؤال

إن قال قائل لو لم تكن الرؤية جائزة لما طلبها موسى عليه السلام؟

الجواب:

أولاً:

إن موسى عليه السلام لم يطلبها لنفسه بل لقومه وهو نبي والنبي لا يجهل ما لا يليق بالله أو ما لا يجوز في حق الله.

ثانياً:

قال تعالى (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) هذه الآية دالة على أن بني إسرائيل هم من طلب رؤية الله وليس موسى عليه السلام.

ثالثاً:

هل تشرف الجبل برؤية الله ولم يتشرف بها نبي الله ؟ وعلى قول من يقول الرؤية نعيم في الجنة فكيف تشرف بها الجبل في الدنيا ولم يتشرف بها نبي؟ ولماذا عدها الله ظلماً وأنزل على إثرها صاعقة وهي ستكون نعيماً يوم القيامة كما يزعم المثبتون للرؤية؟

أما الأدلة من السنة:

ففي صحيح البخاري ومسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: جنتان من فضة أنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن.

والشاهد أن الكبرياء صفة ذاتية لله وصفات الله لا تتبدل ولا تتغير ولا يمكن بحال من الأحوال أن يتخلى الله عنها.

والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله وما كان من خطأ فمني والشيطان.

ملخص النقاط في الدرس:

النقطة الأولى: الصفات الذاتية في حق الله من جهة الكمال والنقص.

النقطة الثانية: الأدلة النقلية المحكمة في إثبات تنزيه الله.

النقطة الثالثة: الأدلة العقلية على استحالة رؤية الله بالأبصار.

النقطة الرابعة: الأدلة النقلية على استحالة رؤية الله بالأبصار.

النقطة الأولى: الصفات الذاتية في حق الله من جهة الكمال والنقص.

من خصائص صفات الله الذاتية أنه تعالى صفاته لا تتغير ولا تتبدل.. ما معنى هذا الكلام؟

الجواب: لو نظرنا لصفات البشر لوجدناها تتغير وتتبدل وقد يكون سبب هذا التغير والتبدل والتأثر في صفات البشر المكان أو الزمان أو الحالة الداخلية لجسم البشر أو قد يكون السبب عارض خارجي.

وهذا التغير والتأثر واضح ومشاهد أماناً، فمثلاً الإنسان الذي يتصف بصفة العلم قد تمر عليه لحظات بسيطة وينسى شيء مما يعلمه ويكون جاهلاً به، والذي يتصف مثلاً بالقوة قد يمرض

بعد لحظات ويصيبه الضعف في جسمه فلا يستطيع حتى أن يحمل نفسه فيصبح ضعيفاً، وكذلك القدرة تصبح عجزاً.

وهكذا هو الحال في صفات البشر فهي تتأثر وتتبدل من حال إلى حال آخر قد يكون هذا التغير والتبدل والتأثر بسبب الزمان أو المكان أو المرض أو كبر السن. ولكن لو أتينا على صفات الله فهو يتصف بصفات لا تتغير ولا تتبدل ولا تتأثر، لا بالزمان ولا بالمكان ولا بأي شيء كان، لأن صفات الله صفات كمالية لا تزيد ولا تنقص كما هو الحال في البشر. على سبيل المثال:

الله عزوجل يتصف بأنه عالم فلا يمكن أن يأتي عليه زمان يصبح جاهلاً.

الله عزوجل يتصف بأنه قادر فلا يمكن أن يأتي عليه زمان يصبح عاجزاً.

فلا يؤثر فيه الزمان والمكان لا في ذاته ولا في صفاته.

ومن الصفات الذاتية التي اتصف الله بها وقد ذكرها بصريح القرآن هي صفة (عدم إدراك الأبصار له)، أي أن أبصار مخلوقاته من إنسها وجنّها لا يمكن أن تراه، وهذه الآية هي محكمة تعد من الآيات المحكمات التي تنزه الله.

في هذه الآية (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) تمدح الله بهذه الصفة الذاتية وهي عدم ادراك الابصار له.

وإذا تمدح الله في القرآن بشيء، فلا يمكن أن يوصف بضد ما تمدح به أبدأ، لأن ضده يكون نقصاً وذكماً له، وعلى سبيل المثال:

الله تمدح في قوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) أنه لا يتصف بالنوم وهذا مدح له، ولا يجوز أن يوصف بضده لأنه سيصبح ذم ونقص له.

كذلك تمدح في قوله تعالى (لم يلد ولم يولد) أنه لا يلد وليس بمولود وهذا مدح له، ولا يجوز أن يوصف أنه يلد ويولد لأنه سيصبح ذم ونقص له.. وهكذا الخلاصة من هذا الكلام:

إذا تمدح الله بصفة معينة فإثبات ضدها نقص وذكم له، لأن صفاته الذاتية لا تتغير ولا تتبدل أبدأ، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

النقطة الثانية: الأدلة النقلية المحكمة في إثبات تنزيه الله.

طبعاً أوردنا آيات محكمات قطعيات في دلالتها على أن الله عزوجل منزّه عن مشابهة مخلوقاته، وأنه تعالى لا يوصف بما يتصف به المخلوق وهذه الآيات هي أدلة لا يمكن لأي مسلم أن يتجاهلها أو ينكرها أو يعارضها. ومن هذه الآيات:

قال تعالى: (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير).

وقال تعالى: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار).

وقال تعالى: (قل هو الله أحد).

فهذه بعض الآيات المحكمة التي تنزه الله عن مشابهة مخلوقاته، أوردناها لتكون لنا مستنداً لتنزيه الله.

النقطة الثالثة: الأدلة العقلية على استحالة رؤية الله بالأبصار.

مسألة نفي الرؤية عن الله هي من المسائل المهمة التي يجب على المسلم والمسلمة أن يعرفوها عند قيام الحجة عليهم بها، فهذه المسألة تحتاج إلى أدلة لإثباتها.

ومن الأدلة على ذلك هي البراهين العقلية التي تتعارض مع القول أن الله تجوز رؤيته بالعين. فهذه المسألة يثبت العقل ببراهينه أن الله لا يمكن رؤيته أبداً.... لماذا؟

لأن الرؤية عقلاً لا يمكن حدوثها إلا في الأجسام، وقد ثبت لدينا أن الله ليس بجسم ولا عرض، فكيف يمكن رؤيته بالبصر وهو ليس بجسم؟

فالعقل ينفي الرؤية من عدة وجوه وأسباب، لأن من لوازم الرؤية هي:

- ١ - أن يكون الرائي جسم والمرئي جسم مثله.
- ٢ - أن يكون الرائي مقابلاً وجهاً لوجه للمرئي سيراها.
- ٣ - أن يكون الرائي والذي سيراها موجودين في مكان.
- ٤ - أن يكون الرائي والذي سيراها لهما شكلين ولون.
- ٥ - أن يكون الرائي والذي سيراها يجري عليهما الزمان والوقت.
- ٦ - أن يكون الرائي والذي سيراها متناهيين متحيزين.
- ٧ - أن يكون الرائي والذي سيراها لهما ثقل ووزن.
- ٨ - أن يكون الرائي والذي سيراها غير بائنين أي أنهما حالان في المكان ملامسان له ولفضائه.

وهذه الأوصاف لا تكون إلا في الأجسام والله تعالى ليس بجسم ولا يمكن بأي حال أن يكون متصفاً بهذه اللوازم الثمانية، لأنها قيود لا ينفك عنها المخلوق والله خالق وليس بمخلوق وقد قال عن نفسه (ليس كمثله شيء).

نستخلص من هذه الأدلة العقلية أن الله مستحيل عليه إثبات الرؤية فهو لا يمكن رؤيته عقلاً.

النقطة الرابعة: الأدلة النقلية على استحالة رؤية الله بالأبصار.

هناك أيضاً أدلة نقلية من القرآن والسنة تثبت لنا أن الله لا يمكن رؤيته بالأبصار ومن هذه الأدلة هو دليل قوي صريح محكم قطع دابر كل من يفكر أو أن يأتي في خاطره أن الله يمكن رؤيته، وهذا الدليل هو قوله تعالى :

(لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)
الإدراك يعني :اللاحق أو اللحق.

ولكن يتغير معناه على حسب إسناده.

ففي الآية أسند إلى البصر وإذا أسند الإدراك إلى البصر فلا يعني إلا الرؤية البصرية.

فمعنى لا تدركه الأبصار أي لا تراه.
فلو قلنا مثلاً أدرك السهم الهدف، فهذا الإدراك لا يعني أنه رآه لأنه لم يسند إلى البصر وإنما أسند إلى السهم.

ومعناه أصابه، أي أصاب السهم الهدف.
مثلاً.. أدركت يدي السقف.

يعني لمست يدي السقف لأن الإدراك أسند إلى اليد.

وهكذا... فالإدراك يفسر على حسب ما يسند إليه.
وفي الآية جاء الإدراك مسنداً إلى البصر فلهذا لا يمكن أن يفسر إلا بالرؤية البصرية، فثبت لدينا بهذه الآية التي نصت على أن الله لا تدركه الأبصار بمعنى لا تراه.
قال بعضهم الإدراك هنا بمعنى الإحاطة وليس الرؤية، أي أن الله تراه العيون لكن لا تحيط به.
وهذا تفسير خاطئ ساقط ولا يتوافق مع اللغة العربية أبداً.

ثم تناقضوا وقالوا إن نفي الرؤية هنا في الدنيا فقط وأما في الآخرة فستقع الرؤية لله.

ما هو التناقض الذي وقعوا فيه؟
التناقض هو: كيف يقولون أولاً أن الإدراك في الآية لا يعني الرؤية وإنما يعني الإحاطة وبعد ذلك يقولون أن الآية تنفي الرؤية في الدنيا فقط.

بهذا الكلام هم نفوا معنى الرؤية في الآية ثم أثبتوا معناها، ولكنهم نفوا الرؤية في الدنيا،، يعني قالوا الآية لا تعني الرؤية وإنما تعني الإحاطة، ثم قالوا الآية تعني الرؤية ولكن لا تكون في الدنيا وإنما في الآخرة في الجنة... هذا هو التناقض.
كذلك مما يؤيد كلامنا أن هذه الآية تعني نفي الرؤية هو استدلال السيدة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وأرضاها عندما سألتها مسروق قائلاً: هل رأى محمداً ربه؟

فقالت له من هول ما سمعت: قف شعري مما قلت، ثم بعد ذلك نفت الرؤية واستدللت بقوله تعالى على النفي (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فلو كانت هذه الآية تعني عدم الإحاطة فلم يكن لاستدلال السيدة عائشة معنى، ولكن بما أن الآية تعني نفي الرؤية جعلتها دليلاً على ذلك.
من الأدلة النقلية قوله تعالى (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ربي أنظر إليك قال

لن تراني) وفي هذه الآية نفي صريح عن الرؤية البصرية وهذا النفي هو نفي مؤبد لأن (لن) هنا تفيد التأييد وكذلك ليست مقيدة بزمان أي أن هذا النفي ليس لوقت محدد ثم ينتفي التأييد، كقوله تعالى (لن يخلقوا ذباباً).

وطلب موسى للرؤية هنا في الآية هي ليست جهلاً منه على استحالتها ولكن ليسكت قومه لأنهم هم من طلب الرؤية وليس نبي الله موسى، والدليل على ذلك قوله تعالى:

(يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم).

وهذا دليل يرد على من يقول أن موسى سأل الرؤية لنفسه وليس لبني إسرائيل، فالله وصف هذا الأمر أكبر ممن سأل بإنزال الكتب. وقد وصف الله هذا الأمر بأنه ظلم.

أما من السنة النبوية فالدليل على نفيها هو حديث الكبرياء والتي هي صفة ذاتية لله تعالى وكذلك حديث السيدة عائشة عندما نفت الرؤية، وكذلك هناك رواية عن طريق أبا ذر وهي في مسلم قال: سألت رسول الله هل رأيت ربك؟ قال نور أنى أراه.

الدرس الثامن ج ٢

تنزيه الله عن رؤية المخلوقات لذاته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.. وبعد

أدلة القائلين برؤية الله:

وبداية سنوضح لكم أن هذه العقيدة قد تخطت فيها هؤلاء القوم، وقد اعترف بهذا التخطي أحد أئمة هؤلاء القائلين بالرؤية وهو ابن القيم الجوزية في كتابه (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) حيث قال في الباب الخامس والستين:

فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات القيامة، بل والكفار أيضاً، كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة... إلى أن قال: وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة.

- 1 - أنه لا يراه إلا المؤمنون.
- 2 - يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك.
- 3 - يراه المنافقون دون الكفار.

انتهى كلامه، ولنتأمل ما قال قليلاً:

نستنتج من كلامه:

أولاً:

إن في هذه العقيدة لا يوجد لديهم نص قاطع من كتاب الله وإنما اعتمدوا على آيات دلالتها ظنية فبنوا عليها معتقدهم.

ثانياً:

أثبتوها بروايات متناقضة والدليل أنهم يقولون إن الرؤية هي نعيم في الجنة لا يناله إلا المؤمنون وفي معرض كلامه أنها ستقع في عرصات القيامة (الموقف) وسيراه المنافقون بل وحتى الكفار، وقد صرح أنه ثابت بالأحاديث الصحيحة على ذلك، فإذا كانت الرؤية أعظم نعيم في الجنة فكيف سينال هذا النعيم الكافر والمنافق؟

ثالثاً:

كيف لمعتقد أن يكون فيه تناقض في مذهب واحد؟ أليس هذا دليل على فساد هذا المعتقد.

رابعاً:

هناك أيضا من قال إن الله يرى في الدنيا بناء على رواية ابن عباس - رضي الله عنهما-.
هذا ومن أدلتهم من كتاب الله في إثبات الرؤية قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها
ناظرة) وهو أقوى دليل قرآني تمسكوا به .

ولنتأمل هذه الآية بعين العقل والفهم الصحيح، هل هذه الآية تتكلم عن نعيم في الجنة أم تتكلم عن
حال الناس في الموقف؟

بلا شك تتكلم عن حال الناس في الموقف والدليل الآية التي بعدها حيث قال تعالى: (وجوه
يومئذ باسرة* تظن أن يفعل بها فاقرة) والناس في الموقف فريقان الفريق الأول: أهل الجنة
والذين قال الله عنهم أن وجوههم ناضرة أي مشرقة إلى ربها ناظرة أي تنتظر رحمة الله بنيلها
الثواب ودخولها الجنة. أما الفريق الثاني: فقال الله عنهم أن وجوههم باسرة أي كالحة لما
ستتوقعه من العذاب تظن أن يفعل بها فاقرة أي تتوقع أن ينزل بها ما يقطع فقار ظهورها،
فنضارة وجوه المؤمنين مقابل بسور الوجوه الأخرى. والدليل على أن الآية في الموقف قوله
تعالى (تظن أن يفعل بها فاقرة) فالظن هنا أي تتوقع فلو كانت الآية تتكلم عن النار فما فائدة
التوقع، بل العذاب سيكون واقع .

إذاً النظر لا يقصد به الرؤية فقط، فله معاني ومنها الانتظار ودليله قوله تعالى (ما ينظرون إلا
صيحة واحدة).

وإن قيل أن النظر إذا عدي ب (إلى) فلا يعني إلا الرؤية؟ فهذا مردود فالنظر يأتي متعدياً بالي
ولا يعني الرؤية ودليله قوله تعالى (فنظرة إلى ميسرة) وقوله تعالى (إن الذين يشتركون بعهد الله
وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة).

ومن التخيُّط في فهم آية القيامة عند المثبتين هو إسناد النظر إلى الوجوه حيث قالوا إذا أسند
النظر إلى الوجوه فلا يعني إلا الرؤية لأن الوجوه محل الأبصار. وعلى هذا الفهم السقيم هل
يجوز أيضاً أن نقول شملت بوجهي وأكلت بوجهي؟

وسيقول قائل أيضاً وهل الوجوه تنتظر؟

جوابه أن المراد بالوجوه كما هو معهود في كلام العرب (الذوات) كقولهم قصدت وجهك أي
قصدتك. ولذلك في الآية التي بعدها جاز إسناد الظن إلى الوجوه في قول الله تعالى (تظن أن
يفعل بها فاقرة) وقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة* عاملة ناصبة* تصلى ناراً حامية* تسقى من
عين أنية) فالصلي والسقي ليس للوجوه وإنما لأصحابها .

الخلاصة : إنه ليس لمعتقدي الرؤية متعلق في هذه الآية أبدا فهم اقتطعوها من سياقها وجعلوها
كمستند يدعمون به عقيدتهم الرواياتية والآية لا منطوقها يصرح بالرؤية ولا مدلولها يشير إلى
ذلك. فهي ظنية في دلالتها والظني لا يبنى عليه معتقد.

ومن الأدلة التي أثبتوا بها رؤية الله قوله تعالى:

(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)

فسروا الحسنى بالجنة وفسروا الزيادة بالرؤية استنادا على حديث لابن أبي ليلى عن صهيب - رضي الله عنه- ونصه: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله عز وجل تريدون شيئا أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتتجينا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم.. ثم تلا هذه الآية).

وهذا الحديث لا يصح لا من ناحية سنده ولا من ناحية متنه، فمتنه يتعارض ويتصادم مع قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة) فأية القيامة تتحدث عن الموقف، وكذلك تتعارض وتتصادم مع حديث التجلي المروي عن أبي هريرة وأبي سعيد - رضي الله عنهما- والذي يحكي عن وقوع الرؤية في الموقف، وسنأتي على هذه الرواية الشنيعة لاحقا .

وكذلك والأهم أن الآية ليس فيها ذكر للرؤية البتة لا من قريب ولا من بعيد، وقد فسرت الزيادة بالثواب كما فسرها بعض السلف بغرفة من لؤلؤ لها أربعة أبواب وبعضهم فسر الزيادة بالكرامة والثواب، وأما سند الرواية التي عولوا عليها في تفسير الآية فبإمكان من أراد أن يطلع على تحقيقها أن يرجع إلى كتاب مسألة الرؤية (صفحة ١٧ و ٥٥) للعلامة السيد حسن السقاف، فقد بين عوار وضعف الرواية سنداً وممتناً .

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقد استدلوا بها بمفهوم المخالفة، فيما أن منطوقها يدل على حجب الكفار عن ربهم فمفهومها يدل على أن المؤمنين يرونه. وقالوا أيضاً أن حجب الكفار هو عذاب لهم.

أولاً:

استدلواهم ساقط لعدم وجود دلالة على الرؤية في الآية وما استدلوا به هو بمفهوم المخالفة وهو حجة ظنية كما وضح سماحة شيخنا الخليلي يحفظه الله في الحق الدامغ .

ثانياً:

الحجاب كناية عن حرمانهم من الثواب أو الرحمة، وليس هناك شيء حسي مشترك يجمع بين الخالق ومخلوقاته كي يحجبهم. وإن قال بعضهم الظهور ضد الحجب فهذا ساقط بدليل الحلول والتغير والقيد الزماني والمكاني وغيرها من المعاني التي لا يتصف بها إلا المخلوق .

ثالثاً:

وهو العجيب.. كيف يكون حجب الكفار عن ربهم عذاباً لهم وظهوره للمؤمنين نعيماً لهم، فلو كان عدم رؤية الله عذاباً فإذا المخلوقات الآن تعيش في عذاب لأننا محجوبون عن ربنا ولا نراه. ولا أدري حقيقة هل يوجد الآن على الأرض من يتعذب بهذا الخصوص؟

رابعاً:

قال ابن القيم (في حادي الأرواح) كما وضحنا سابقاً أن الكفار والمنافقين سيرون ربهم بدلالة الأحاديث التي صحوها كما في رواية أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، فكيف يستدلون بهذه الآية التي فهموها على أن الكفار سيحجبون عن رؤية الله تعذيباً لهم وفي رواية التجلي سيرونه، فكيف يجتمع هذا التناقض بين مفهومهم للآية وبين الرواية التي صحوها؟

الخلاصة:

حتى هذه الآية ليس لهم متعلق بها لما يريدون إثباته فهي لا دلالة فيها أبداً على الرؤية لا

منطوقها ولا مفهومها.

والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله.

درس اليوم توضيح للتناقض الموجود في أدلة القائلين برؤية الله
نقاط مختصر الدرس:

النقطة الأولى: بيان اختلاف القائلين بالرؤية وتعدد أقوالهم.

النقطة الثانية: الآيات التي عولوا عليها لا تصلح أن يبنى بها معتقد الرؤية.

النقطة الثالثة: الروايات التي عولوا عليها لا تصلح أن يبنى بها معتقد الرؤية.

النقطة الأولى: بيان اختلاف القائلين بالرؤية وتعدد أقوالهم.

كما لاحظنا في الدرس أن القائلين بالرؤية اختلفوا في من سينالها، ووقت حصولها فهناك من أثبتها في الدنيا وقال أنها جائز حصولها معتمداً على رواية منسوبة إلى الصحابي ابن عباس - رضي الله عنهما-، أن النبي رأى ربه في اليقظة عندما أعرج به إلى السماء السابعة. وقالوا أنها جائزة حصولها في الدنيا والآخرة، وهناك من قال أنها لا يمكن حصولها أي الرؤية في الدنيا وإنما فقط في الآخرة لأنها نعيم في الجنة، وقال آخرون أنها تحصل في المحشر قبل دخول الجنة ويراه الكفار والمنافقون والمؤمنون بناءً على رواية التجلي. وهذا دليل على تخط هذه العقيدة، فكيف يكونون مختلفين فيها وهي من أعظم عقائدهم التي يتبنونها، والعجيب أنهم لم يختلفوا فقط في وقت الرؤية ومكانها وإنما اختلفوا في كيفية إثباتها. فأهل السنة الحشوية يثبتونها بالنظر إلى الله جهرة أي يقولون يرونه جهرة، وأهل السنة الأشاعرة يقولون لا يرونه جهرة وإنما بالتجلي بلا كيف ولا مكان. والخلاف الذي ذكره ابن القيم في كتابه حادي الأرواح مشهور في كتبهم، وكذلك الخلاف بينهم في كيفية الرؤية أي بين الحشوية والأشاعرة. هذه وثيقة من كتاب حادي الأرواح يعترف فيها ابن القيم بالخلاف واعترافه أن الكفار والمنافقين يرون الله... تعالى الله عن ذلك

ما شاء الله، غبطة ومختلفين فيها وفي مذهب واحد.

↓

وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة: أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون. الثاني: يراه جميع أهل الموقف: مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك. والثالث: يراه المناقون دون الكفار. والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد، وهي لأصحابه، وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها في تكليمه لهم، ولشيخنا^(١) في ذلك مُصَنَّف مُرَد، حكى فيه الأقوال الثلاثة وشرح أصحابها. وكذا قوله سبحانه: ﴿يَأْتِيَا الْإِنْسَانَ إِنَّكَ كَاذِبٌ كَلِمًا فَتَلْقَاهُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [الإنشقاق/ ٦] إن عاد الصمير على العمل: فهو رؤيته في الكتاب المسطور شيئًا، وإن عاد على الرضا ببارك وتعالى: فهو لقاءه الذي وَهَّبه.

فصل

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَهُ يَدْعُوا إِلَى مَرَأَتِهِمْ مِنْ بُنْيَانٍ لِيَكُونَ لَهُمْ مَحَلُّ مَقَامٍ يَكْفِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [الأنعام/ ٩٠] الآية. وهذا دليل على أن المؤمن يراه في الآخرة، وهو رؤيته في الكتاب المسطور شيئًا، وإن عاد على الرضا ببارك وتعالى: فهو لقاءه الذي وَهَّبه.

فصل

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَهُ يَدْعُوا إِلَى مَرَأَتِهِمْ مِنْ بُنْيَانٍ لِيَكُونَ لَهُمْ مَحَلُّ مَقَامٍ يَكْفِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [الأنعام/ ٩٠] الآية. وهذا دليل على أن المؤمن يراه في الآخرة، وهو رؤيته في الكتاب المسطور شيئًا، وإن عاد على الرضا ببارك وتعالى: فهو لقاءه الذي وَهَّبه.

ما شاء الله، غبطة ومختلفين فيها وفي مذهب واحد.

↓

وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة: أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون. الثاني: يراه جميع أهل الموقف: مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك. والثالث: يراه المناقون دون الكفار. والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد، وهي لأصحابه، وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها في تكليمه لهم، ولشيخنا^(١) في ذلك مُصَنَّف مُرَد، حكى فيه الأقوال الثلاثة وشرح أصحابها. وكذا قوله سبحانه: ﴿يَأْتِيَا الْإِنْسَانَ إِنَّكَ كَاذِبٌ كَلِمًا فَتَلْقَاهُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [الإنشقاق/ ٦] إن عاد الصمير على العمل: فهو رؤيته في الكتاب المسطور شيئًا، وإن عاد على الرضا ببارك وتعالى: فهو لقاءه الذي وَهَّبه.

فصل

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَهُ يَدْعُوا إِلَى مَرَأَتِهِمْ مِنْ بُنْيَانٍ لِيَكُونَ لَهُمْ مَحَلُّ مَقَامٍ يَكْفِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [الأنعام/ ٩٠] الآية. وهذا دليل على أن المؤمن يراه في الآخرة، وهو رؤيته في الكتاب المسطور شيئًا، وإن عاد على الرضا ببارك وتعالى: فهو لقاءه الذي وَهَّبه.

فصل

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَهُ يَدْعُوا إِلَى مَرَأَتِهِمْ مِنْ بُنْيَانٍ لِيَكُونَ لَهُمْ مَحَلُّ مَقَامٍ يَكْفِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [الأنعام/ ٩٠] الآية. وهذا دليل على أن المؤمن يراه في الآخرة، وهو رؤيته في الكتاب المسطور شيئًا، وإن عاد على الرضا ببارك وتعالى: فهو لقاءه الذي وَهَّبه.

هل سمعتم برواية الشاب الأمرد؟
الرواية التي تقول... رأيت ربي في صورة شاب أمرد جعد قطط
هذه الرواية هي أحد طوام القائلين بالرؤية.. سننقلها لكم في وقت لاحق

النقطة الثانية: الآيات التي عولوا عليها لا تصلح أن يبنى بها معتقد الرؤية.

أما بخصوص الآيات فلا يمكن أن يبنى بها معتقد،، لأنها ليست قطعية في دلالتها ففيها المتشابه، وفيها البعيد عن وجه الاستدلال، لأنها لا يوجد في نصها ولا في ظاهرها ولا فيها باطنها ما يشير إلى إثبات الرؤية.

من الآيات التي تمسكوا بها قوله تعالى:

(وجوه يومئذ ناضرة*إلى ربها ناظرة)

وهذه الآية من يتأمل سياقها يعلم أنها لا تتحدث عن رؤية الله، وإنما تتحدث عن حال المؤمنين في المحشر وقبل دخول الجنة، وهذا لا ينكره عاقل يعلم اللغة العربية.
فقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) معناه: أن وجوه المؤمنين مشرقة ومسرورة لما بشروا به مما سينالونه من نعيم.

وقوله تعالى (إلى ربها ناظرة) معناه أنهم منتظرون هذا النعيم.. وليس معناه أنهم ينظرون إلى الله،، فما دخل النظر هنا في سياق الآية؟

وكذلك الآية التي بعدها تتحدث عن حال الكفار.. حيث قالت (وجوه يومئذ باسرة*تضن أن

٧٥

يفعل بها فاقرة) يقول الله بعد أن حكى حال المؤمنين، إن الكفار وهم الفريق الآخر وجوهم باسرة وهذا دليل على صحة ما قلناه.

كما أن وجوه المؤمنين مشرقة، في المقابل وجوه الكفار باسرة.

وقال بعد ذلك (تظن) أي تتوقع والظن لا يكون بعد دخول النار وإنما قبل، لأنهم لو كان ظنهم بعد دخول النار فالعذاب واقع فيهم ساعتها فلماذا يظنون؟

ولفظ (الوجوه) يطلق على ذات الشخص وهذا مشهور في اللغة العربية، كقول القائل قصدت وجهك أي قصدتك أنت، وكذلك في كتاب الله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) ويراد بها يبقى الله.

ولا يوجد في العربية، إذا أسند النظر إلى الوجوه يراد به الرؤية، وإنما هذا من باب المجاز في اللغة وهذا يعلمه حتى من لم يعرف يتعلم اللغة العربية لأنه حتى في العامية يطلق مثل هذه الألفاظ بين الناس كقول القائل (رجل ذو وجه كريم) فلا يراد به وجهه الكريم وإنما هو الشخص ذاته كريم.

أما بقية الآيات كقوله تعالى:

(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)

وقوله تعالى:

(كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

فلا يوجد دلالة صريحة في هذه الآيات على الرؤية وقد وضحنا هشاشة استدلالهم بها في الدرس ومن أراد المزيد فليرجع للدرس.
فكيف يبنى معتقد على آيات لم تنص على عقيدة مثل عقيدة الرؤية؟ والعجيب أن صنوف أنواع النعيم ذكرت صراحة في القرآن كالقواكه والأنهار والأباريق والسرر واللباس وغيرها، والرؤية التي هي أعظم نعيم عندهم في الجنة لم تذكر صراحة في القرآن.
وقد صرح ابن حجر في شرحه على البخاري أن الرؤية لا يوجد بها نص قرآني صريح يثبتها، وإنما هي روايات فقط، ولكن المكابرة عند البعض تجعلهم لا يعترفون بذلك واضطروا إلى اللجوء لآيات مقتطعة بنوا عليها معتقدتهم ليستندوا بها مع الروايات ويقنعوا بها أنفسهم.

النقطة الثالثة: الروايات التي عولوا عليها لا تصلح أن يبنى بها معتقد الرؤية.

أدلتهم من السنة النبوية:

من هذه الأدلة حديث شنيع صحيح عندهم وهو حديث نسب إلى أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما جاء بهذين اللفظين:
من صحيح البخاري

الرواية الأولى : عن أبي هريرة: أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها ... إلى أن قال: فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاءنا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه... إلخ الحديث .

الرواية الثانية :

عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟ قلنا لا قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما قال: ثم يناد مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم ... إلى أن قال: حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقتناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم وإنما سمعنا منادياً ينادي ليحلّق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية (علامة) تعرفونه؟ فيقولون: الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ... إلخ الرواية الشنيعة .

ما بين القوسين ليست من الرواية وإنما معنى لكلمة آية.

للتنبية فقط

من صحيح مسلم

الرواية الأولى:

عن أبي هريرة أن ناساً قالوا لرسول الله صل الله عليه وسلم هل نرى ربنا يوم القيامة؟ ... إلى أن قال: وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه... إلخ الحديث).

الرواية الثانية:

عن أبي سعيد الخدري أن ناساً في زمن رسول الله صل الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله نرى ربنا يوم القيامة؟ ... إلى أن قال: حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها. قال: فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا فارقتنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً - مرتين أو ثلاثة - حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب. فيقولون: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون: نعم. فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود... إلخ الحديث).

هذه الروايات تثبت الرؤية في المحشر.. أي قبل دخول الجنة وهي التي ذكرها ابن القيم كما في الوثيقة التي رفعتها لكم.

التعليق على الروايات

أولاً:

لا أقول إلا تعالى الله عن هذه الشناعات والطامات التي سطرت كأدلة لإثبات معتقد باطل في هذه المرويات علواً كبيراً وحسبي الله ونعم الوكيل.

ثانياً:

لنتأمل هذه الروايات وما جاء بها، ولنبدأ بالحديث الأول،، كما هو ملاحظ أن الأحاديث تتكلم عن الرؤية في المحشر أو الموقف.

ففي الحديث الأول إن الله يأتي الناس ويخاطبهم بأنه هو ربهم فينكرونه ويقولون له هذا مكاننا حتى يأتيهم ربهم، ثم يأتيهم في الصورة التي يعرفونه بها .

والسؤال:

هم رأوه من قبل،، متى رأوه؟

وفي الرواية الثانية أيضاً يأتيهم بصورة غير التي رأوه فيها من قبل ثم يسألهم ما يحبسكم هنا وكأنه لا يعرف من هم وماذا يفعلون،، ثم يسألهم هل هناك آية أي علامة تعرفون بها ربكم فيقولون الساق (تعالى الله عن ذلك) فيكشفها لهم .
السؤال الذي لم نجد له إجابة:

متى رأوا هذه العلامة من قبل؟ كي تكون واسطة معرفتهم بربهم؟
أما صحيح مسلم فالرواية الأولى تقول أنه تعالى يأتيهم في صورة مغايرة عن التي يعرفونه بها من قبل فيتعوزون منه.

يتعوزون من الله (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) ثم يغير صورته إلى الصورة التي يعرفونه بها ويتبعونه .

أما في الرواية الثانية من صحيح مسلم يأتيهم في أدنى صورة وأيضاً يتعوزون منه ثم يسألهم هل هناك علامة تعرفون بها ربكم فيقولون الساق فيكشف عن ساق.

والحقيقة أن هناك الكثير من الأسئلة تدور حول هذه الروايات الشنيعة التي تصف الله بصفات الحلول والتغير والصورة والمزاح والجهل والمحاوره وغيرها من الطامات،، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وسنكتفي بالتعليق بهذه الأسئلة.. ومنها:

متى رأوه أول مرة؟ كما هو واضح أنهم رأوه قبل الموقف فمتى كانت رؤيتهم لله؟

الروايات تقول أن هناك علامة الصورة وعلامة الساق فكيف يوفق بين هذه الروايات الشنيعة؟

هل هناك قسمان: قسم رأى علامة الصورة وقسم رأى علامة الساق؟ تعالى الله عن ذلك.

وكيف استطاعوا رؤيته قبل الموقف وكذلك في الموقف بأبصارهم وهم لم يخلق لهم أبصاراً
تستطيع من خلالها رؤية ربهم كما يدعي من قال أن الرؤية لا يستطيعونها في الدنيا لضعف
أبصارهم؟

وقبل أن نختم نضع لكم هذه الرواية لنثبت لكم أن هذه العقيدة متناقضة عند من يعتقدونها: عن
صهيب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك
وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟
قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل .
لاحظوا التناقض:

الروايات أعلاه تثبت الرؤية قبل الموقف وفي الموقف وهذه الرواية تثبتها في الجنة، والرؤية
عندهم أعظم نعيم فكيف يكون كذلك؟ وسنترك التعليق للقارئ الكريم.

الخلاصة:

أن هذه العقيدة متناقضة في أدلتها مخالفة لكتاب الله، أدلتها مصادمة لبعضها البعض ولا يمكن
جمعها لتتوافق مع بعضها.

الدرس التاسع

المعنى اللائق لاستواء الله وعلوه

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد :

بعد أن وضحَ لنا أنه مما يجب علينا أن ندين به لله هو تنزيهه عن الرؤية، كذلك لدينا معنى آخر يجب أن نصف الله به على الوجه اللائق له تعالى، ألا وهو: (الاستواء).. وردت آيات متشابهة تصف الرحمن بأنه مستوٍ على العرش، كقوله تعالى في سورة طه (الرحمن على العرش استوى) وقد يظن البعض أن معنى الاستواء هنا هو الجلوس والاستقرار ظناً منه أن العرش هو عبارة عن كرسي أو سرير.

وطبعاً هذا فهم خاطيء للآية، لأنك من وصفته لا يجوز فيه أي معنى من معاني صفات المخلوق، فالجلوس والاستقرار هي معاني يتصف بها المخلوق لحاجته واقتضاه. أما الله فلا يتصف بالجلوس والاستقرار على شيء، لأنه ليس كمثله شيء. إذن ما هو المراد بالاستواء في الآية؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال، يجب علينا أن نفهم بل وأن نعتقد شيئاً ما في حق الله، ألا وهو العلو اللائق.

ونقصد بالعلو هنا هو علو المكانة والعظمة والقوة والهيمنة والتدبير والشأن وليس العلو المكاني الحسي.

لماذا لا نصف الله بالعلو المكاني الحسي؟

الجواب: لأن العلو المكاني لا مزية فيه، بعكس علو المكانة والشأن والعظمة فهذا الوصف هو الوصف اللائق في ذاته تعالى، فالله تعالى علوه علو مكانة وليس مكان، لأن المكان يوجب الافتقار والجسمية، والله منزّه عن ذلك.

إذن أيهما الفهم الصحيح للاستواء في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) هل هو؟ أن الله بعد أن خلق الخلق استقر وجلس على عرش عبارة عن كرسي أو سرير (أم أن الاستواء هو كناية عن الهيمنة والتدبير وتصريف أمور الخلق .

لنتابع هذه الآيات ونتأملها جيداً :

قال تعالى (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) الاعراف ٥٤

وقال تعالى (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۗ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ۗ إِنَّهُ ۖ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) يونس ٣

تأملوا هذه الآيات جيداً، هل تتحدث في معناها على أن الله بعد أن خلق السماوات والأرض ومم فيهن، ذهب واستقر أو جلس على سرير أو كرسي. تعالى الله عن ذلك؟

أم نفهم من سياقها أن الله خالق السماوات والأرض ومن فيهن هو المدير والمتصرف في خلقه بعد أن خلق الخلق .

بلا شك أن الله بعد أن خلق الخلق كان له الأمر من قبل ومن بعد يدبر ويصرف كيف ما يشاء في خلقه.

يقول سماحة شيخنا الخليلي - يحفظه الله - في شرحه لغاية المراد: (وعليه فإن استواءه على العرش إنما هو بمعنى هيمنته على خلقه وتدبيره لأمرهم وتصريفه لكل شيء في الكائنات... إلى أن قال: وهذا المعنى أولى أن تحمل عليه الآيات لما ثبت من دليل العقل والنقل من استحالة المعنى المادي الظاهر، فإن العرش الجسماني مكان كغيره من الأمكنة، كان بعد أن لم يكن، ولم يكن إلا بخلق الله فهو المفتقر إلى الله سبحانه والله غني عنه وعن غيره .. انتهى بتصرف

إذن (الاستواء) هو كناية عن التدبير والهيمنة والقوة والتصريف. ولا يراد بها الاستقرار والجلوس، لأنه تعالى ليس بجسم كي يستقر على شيء أو يحمله شيء حسي كالسرير أو الكرسي، فهو تعالى بائن من خلقه لا يحل في خلقه ولا يحل خلقه فيه ولا يمس خلقه ولا يمس خلقه سبحانه وتعالى عما يصفون .

الخلاصة:

إن آيات الاستواء هي من المتشابهات ويجب رد المتشابه إلى المحكم وحمل الاستواء على الوجه اللائق لله وهو تفسيره بالهيمنة والتدبير، لأنه تعالى منزّه عن الجلوس والاستقرار على مخلوقاته، وكل من يفسر الاستقرار بالجلوس فقد جسم الله وشبهه بخلق لأن الجلوس هو معنى من المعاني التي يتصف بها المخلوق لافتقاره وحاجته، والله منزّه عن ذلك.

والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله.

كما هو واضح،، الدرس يتكلم عن نقطتين وهما:

النقطة الأولى: معاني الاستواء في اللغة ومعناه اللائق في حق الله تعالى.

النقطة الثانية: العلو ومعناه اللائق في حق الله.

النقطة الأولى: معاني الاستواء في اللغة ومعناه اللائق في حق الله تعالى.

الاستواء في اللغة يأتي بعدة معاني منها:

١ - التمكن والاستقرار ومنه قوله تعالى: (وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ).

وكقول القائل: استوى الراكب على ظهر دابته أي استقر عليها.

٢ - الاعتدال ومنه قوله تعالى: (فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ) أي استقام.

٣ - تمام الشيء ومنه قوله تعالى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى).

٤ - الاستيلاء ومنه قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى).

٥ - الجلوس والعود كقول القائل: (استوى على السرير أو الكرسي).

٦ - العلو كقول القائل (استوى على دابته)

هناك آيات في القرآن جاءت تصف الله بالاستواء كقوله تعالى:

(الرحمن على العرش استوى).

وقوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ).

فمن يقرأ هذه الآيات قد يذهب ذهنه إلى أن الاستواء هنا على حقيقته، أي استواء حقيقي. ولكن حقيقة الأمر أن الاستواء هنا لا يراد به المعنى الحقيقي الذي يتصف به المخلوق وهو الجلوس أو القعود أو الاستقرار وإنما المراد بالاستواء هنا هو كناية عن هيمنة الله وتدبيره. بداية يجب أن نعرف شيئاً ما، وهو أن الله تعالى كان ولم يكن شيء معه لا مكان ولا زمان ولا سماء ولا أرض ولا شيء، فخلق الله السماوات والأرض وخلق المكان والزمان ولم يؤثر خلقه هذا فيه، فهو كما كان لم يتغير عن ما كان ولم يؤثر فيه المكان ولا الزمان. الله بائن من خلقه منفصل عنهم، لا يمس خلقه ولا يمس خلقه، ولا يحل في شيء من مخلوقاته، ولا تحل فيه مخلوقاته، ولا يحل في سماء ولا أرض ولا شيء. وسيظل الله هكذا كما كان لم ولن يتغير عن ما كان وسيبقى المخلوقات كلها دون أن يأنثر فيه ذلك شيء، وسيكون باقياً كما كان قبل خلق الخلق وسيظل كذلك بعد أن يفنيهم. لو تأملنا معنى الاستواء في حق المخلوق لوجدناه يفيد الحاجة والافتقار والجسمية والمساس وهذا كله مستحيل على الله فلا يوصف بهذا كله، فلو قلنا على سبيل المثال:

الهاتف (على) الطاولة.

الهاتف (على) الطاولة.

هنا (على) في المثال تفيد المماساة والعلو الجسمي، لأن الهاتف جسم والطاولة جسم وبما أن الهاتف (على) الطاولة فهذا يعني أنه ملامس لها والمماساة لا بد أن تكون بين جسمين.

وهذا المعنى مستحيل على الله.

ما الفرق بين على و فوق؟

قد تفيد فوق المماساة ولكن ليس بالضرورة.

أما على فتفيد العلو والمماساة بالضرورة.

إذا أخذنا معنى الاستواء في حق الله بالقعود أو الجلوس أو الفوقية المكانية الحسية فقد وصفناه

بالملامسة مع العرش والحاجة وهذه الصفات لا تكون إلا بين جسمين.
ولكن المعنى اللائق كما قلنا هو الهيمنة والتدبير،، ومثال ذلك والله المثل الأعلى:

لو قلنا : استوى عبد الله على الإدارة في شركة كذا.

المعنى المراد والذي به مزية من هذا الاستواء هو أن عبد الله أصبح مديراً للشركة، وبما أنه أصبح المدير فهو مهيم على كل شيء فيها وماسك لزماتها مدير لها لا يكون فيها شيء إلا بأمره ونهيه.

وهذا ما نقصده بالاستواء اللائق لله وهو الهيمنة والتدبير فبعد أن خلق الله الخلق، فمن المؤكد هو من سيدبر أمورهم من أرزاق وأعمال وإحياء وإماتة وقبض وبسط وإعزاز وإذلال وغيرها. وفي قوله تعالى شاهد على ذلك:

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

وقوله تعالى (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [٢٧/١٠: ٩٠ م] فبعد أن ذكر الله خلق السماوات والأرض ذكر تدبيره لأمرهما، فالخلق له والأمر له أولاً وآخرأ.

النقطة الثانية: العلو ومعناه اللائق في حق الله.

بداية لنأخذ مثالا لتقريب الأفهام لأن العلو يطلق على الخالق والمخلوق وبالمثال يتضح لنا المعنى اللائق لعلو الله والله المثل الأعلى:

لو فرضنا أن هناك وزارة تتكون من ثلاث طوابق وبها وزير و وكيل وكما هو معلوم أن الوزير أعلى رتبة من الوكيل، ولكن الوزير مكتبه في الطابق الأول والوكيل مكتبه أعلى منه في الطابق الثالث.

من حيث المكان الوكيل أعلى من الوزير وذلك بسبب وجوده في الطابق الثالث.

ومن حيث المكانة الوزير أعلى من الوكيل وذلك بسبب الرتبة التي يتميز بها.

السؤال: من هو صاحب المزية الأكبر والأعظم في هذا الأمر هل هو الوكيل كونه أعلى مكاناً عن الوزير؟ أم هو الوزير كونه أعلى مكانة ومرتبة من الوكيل؟ بالطبع المزية ستكون في حق الوزير وإن كان مكانه أسفل من مكان الوكيل ولكن رتبته أعلى فلهذا شأنه أقدر وأفضل من الوكيل.

إذاً نفهم من هذا أن المزية وعلو الشأن تكون في المكانة وليست في المكان.
الآن أيهما المعنى اللائق لله؟ هل هو علو مكانة الذي ليس بالضرورة يومهم التجسيم أم علو المكان الذي يلزم من يتصف به أن يكون جسماً متحيزاً متناهي؟

الجواب بالطبع هو علو المكانة وليس المكان، ولا يمكن أن نصف الله بعلو المكان أو الجهة لأننا سنصفه بالجسمية والتحيز وهذا محال لأن الله ليس كمثله شيء.

أما بخصوص بعض الآيات التي توهم أن الله في السماء أو تصف الله بأنه فوق، فهذه لها تفسيرها المناسب الذي لا يصف الله في جهة أو تحيز، وسنوردها الآن ونوضح معانيها. ولكن أولاً سنضع البرهان العقلي الذي ينفي أن يوصف الله بالعلو الحسي كمن يعتقد أن الله في السماء بذاته أو يعتقد أنه فوق العرش.

يعتقد البعض أن الله فوق العرش أو فوق السماء مستنداً ببعض الآيات التي بنى بها هذا المعتقد أو بروايات، كرواية الجارية التي يزعمون أن النبي سألها أين ربك فقالت في السماء. وهذا الفهم الذي فهموه لهذه الآيات لا يلزمنا لأنه فهم خاطيء مناقض حتى للبراهين العقلية فمن المعلوم أن السماء محيطة بالأرض من كل جهة والأرض والشمس والقمر والنجوم وبقيّة الأجرام هي مخلوقات تسبح في بطن السماء فأين جهة العلو بالنسبة لها؟ هل هو من شمال الأرض أم من جنوبها أم من شرقها أم غربها فلو أشرت من هذه الجهات إلى الأعلى بإصبعك فسيكون كل إصبع يشير إلى جهة العلو، فأين هو الإصبع الذي يشير إلى العلو الحقيقي؟ أما بخصوص رواية الجارية التي سألها النبي أين ربك؟، فهي رواية مضطربة لا يمكن أن يجمع متنها على معنى واحد ففي بعضها أنطقها الشهادة ولم يسألها عن مكان.

كذلك من أراد أن يعرف عن أحد غيره إن كان مؤمن أم لا، فلن يسأله أين الله وإنما سيسأله أتشهد أن لا إله إلا الله؟. فمعرفة إيمان الشخص بالسؤال عن الشهادة وليس عن مكان الله، فقد يكون هذا يعبد الشمس أو النجوم وليس بشرط يقصد رب العزة. فلا معنى للسؤال عن مكان الله إذا المراد هو معرفة إسلام أو إيمان الشخص.

هناك من الفرق الإسلامية من يعتقد أن الله في السماء بذاته ويستدل برواية الجارية التي سألها النبي قائلاً لها: أين ربك؟ ليكتشف هل هي مؤمنة أم كافرة فقالت: في السماء.

أما الآيات التي توهم البعض أنه تفيد أن الله في السماء أو العرش حقيقة فهي قوله تعالى:

(وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير).

(يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون).

والمراد بهذه الآيات ومعنى القهر هو الفوقية المكانية لأن القوة والقدرة والقهر لا يكون بعلو المكان وإنما المكانة.

وكقوله تعالى (وهو العلي العظيم) والمراد هنا علو المنزلة والشرف.

وكقوله تعالى (تخرج الملائكة والروح إليه) والمراد هو أن مرجع الأمر كله لله كقوله تعالى (إليه يرجع الأمر كله).

وكقوله تعالى: (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض).

والمراد هو ملكه وسلطانه أو ملائكته كما عند آخرين ولا يراد بها الله، لأن من أخذ بهذه الآية مستدلاً بها على علو الله الحسي أوقع نفسه في تناقض.
والدليل على تناقضه أنهم يقولون أن الله فوق العرش مستقر حقيقة بناءً على هذه الآية:
(الرحمن على العرش استوى).

والآية الأخرى تقول (أأمنتم من في السماء).

الأولى (على) العرش.. تفيد التحيز.

الثانية (في) السماء.. تفيد الظرفية.

والعرش غير عن السماء.. فأين معبودهم بالضبط.. هل هو على العرش أم في السماء حال فيها؟

وكقوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) والمراد بها أن تخصيص العرش هنا بالذكر لأنه أكبر المخلوقات.

ولابن عاشور تفسير رائق لهذه الآية حيث قال:

والمعنى: أن الملائكة يعملون في نواحي السماء ينفذون إنزال أهل الجنة بالجنة وسوق أهل النار إلى النار .

وعرش الرب: اسم لما يحيط بالسموات وهو أعظم من السموات.

وكذا باقي الآيات تؤخذ بهذا الفهم ولا تأخذ بالتشبيه والتجسيم لله تعالى.
من التناقضات التي أوقع القائلين بوجود الله في السماء أنفسهم فيه هي:

أنهم يعتقدون أن الله بائن من خلقه أي أنه لا يحل في خلقه ولا يحل خلقه فيه ولا يمسهم ولا يمسوه.

وبالمقابل يعتقدون بنزول الله بذاته كل ليلة في الثلث الأخير إلى السماء الدنيا.

وهذا تناقض عجيب.. لأن السماء الدنيا فوقها ست سموات والسموات خلق من مخلوقات الله والنزول يلزم الحلول في هذه السموات ومماسستها.

فكيف يكون بائن من خلقه وهو يحل فيهم كل ليلة في الثلث الأخير؟

الدرس العاشر

قضية خلق القرآن والقول الصحيح فيها

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه...

وبعد :

درسنا بإذن الله يدور حول مسألة هي من أسهل المسائل التي اختلف فيها المسلمون قديماً وحديثاً وهي قضية (خلق القرآن) هل القرآن مخلوق أم قديم؟

قبل أن نخوض في تفاصيل هذه المسألة يجب أن نعرف شيئاً وهو :-

هل القرآن هو الله؟

أم هو جزء انفصل عن الله؟

أم هو شيء قديم غير الله؟

لا أظن أن هناك عاقلاً سيقول أن القرآن هو الله نفسه.

ولا أظن أن هناك عاقلاً سيقول هو جزء من الله وانفصل عنه.

ولا أظن أن هناك عاقلاً سيقول أنه شيء قديم غير الله .

فكل هذه الصفات تتصادم مع ألوهية الله الواحد الأحد الفرد الصمد،

إذاً القرآن هو شيء غير الله، والله القديم المتفرد بالألوهية والقدم.

وعليه فإن القرآن محدث مثله كمثل بقية المحدثات من خلق الله.

سيقول قائل :لكن هذا الموضوع لم يثبت عن الرسول ولا عن الصحابة أنهم قالوا بنص صريح أن القرآن مخلوق فمن أين لكم هذا القول؟ وطبعاً هذا السؤال دائماً ما يطرحه القائلون بعدم خلق القرآن أو بقدم القرآن، ومن ضمن الأسئلة الغريبة والساقطة التي يثيرونها هي:

هل القرآن مخلوق أم منزل؟

وسؤالهم الآخر هل القرآن يموت؟

أما الإجابة على شبهتهم الأولى فهي:

نعكس عليهم سؤالهم، وهل قال الرسول أو الصحابة بنص صريح أن القرآن قديم أو صفة الله كما يدعون؟ فكون أنه لم يأتي نص بالقول بخلق القرآن لا يعني أنهم كانوا يعتقدون قدمه بل اعتقادهم بلا شك أنه لا قديم إلا الله وكل ما سواه مخلوق والقرآن شيء غير الله .

أما الشبهة الثانية فهي عبارة عن سؤال ساقط من أساسه.

فبالله عليكم هل يقابل المخلوق المنزل أم الخالق؟

هل يصح أن أسأل: هل الطعام مخلوق أم رزق الله؟

بلا شك أن سؤاله سيكون ساقط لأن الطعام مخلوق وهو رزق من الله .

إذاً السؤال يجب أن يكون على هذا الصيغة:

هل القرآن مخلوق أم خالق أو مخلوق أم قديم؟

فنحن القائلين بخلقه لا ننكر أنه منزل وفوق ذلك نقول مخلوق أيضاً فتنزيله لا يتنافى مع خلقه.

ومن أمثلة ذلك الحديد، قال تعالى:

(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) فهل يصح أن أسأل عن الحديد إن كان منزل أم مخلوق؟ فلا أظن يوجد عاقل يقول هو منزل غير مخلوق لعدم ذكر خلقه.

فكل من يحاول أن يطبق هذا الفهم من كتاب الله نقول له طبقه أيضاً على الحديد وقل هو منزل غير مخلوق لعدم ذكر خلقه في القرآن .

الشبهة الثالثة: هل القرآن يموت؟

الجواب: وهل الجبل يموت وهل الجنة والنار تموتان وهل السماء تموت؟ الله تعالى قال: (كل من عليها فان) ولم يقل كل من عليها يموت.

الفناء من خصائص المخلوقات جميعاً حيها وجمادها جسمها وعرضها أما الموت من خصائص الأحياء.

لا يقال يموت الجبل بل يقال يفنى، وهكذا.

هل هناك أدلة لدينا تثبت خلق القرآن؟

نعم هناك أدلة كثيرة تشير إلى خلق القرآن ونثبت من خلالها أنه شيء محدث غير الله.

ومنها قوله تعالى: (بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ)

هل الله تعالى في هذه الآية يتحدث عن ذاته؟

أو يتحدث عن صفة من صفاته ؟

أو يتحدث عن شيء هو غيره وهو القرآن؟

لو قلنا أنه يتحدث عن ذاته أو عن صفة من صفاته فقد أعظمنا على الله الفرية.

لأن الله يقول بل هو قرآن مجيد (في لوح محفوظ) .

فهل الله يحفظ ذاته أو صفة من صفاته (في) اللوح؟

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الحفظ فعل وحلول أوقعه الله على القرآن فهل الله يوقع أفعاله على نفسه أو صفاته؟ هذا محال.

صفات الله لا تنفصل عن ذاته وتحل في المخلوق فلا يمكن للصفة أن تنفصل عن الموصوف.

ومنها أيضاً قوله تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر)

الإنزال فعل أوقعه الله على القرآن فهل أوقع الله فعله على صفته أو ذاته تعالى الله عن ذلك.

هناك الكثير من الأدلة التي تثبت خلق القرآن منها :

قوله تعالى: (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث).

وقوله تعالى: (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون).

وقوله تعالى: (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل

الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس).

أسماء الله شيء وهو غير الله.

وهناك الكثير من الأدلة في كتاب الله .

نستخلص من هذا كله أن القرآن شيء غير الله.

فلا هو صفة

ولا هو جزء من ذاته

وإنما هو أثر لصفة التكلم بدليل وجوده حال في المخلوق كاللوح والأوراق والصدور والآلات

وغيرها من المحدثات.

والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله وما كان من خطأ فمني

والشيطان.

ملخص النقاط:

النقطة الأولى: الخلاف حول مسألة خلق القرآن.

النقطة الثانية: هل ثبت عن النبي صراحة أن القرآن قديم أو مخلوق؟

النقطة الثالثة: الرد على شبه حول مسألة خلق القرآن.

النقطة الأولى: الخلاف حول مسألة خلق القرآن.

مسألة خلق القرآن هي من المسائل التي اختلف فيها المسلمين قديماً وحديثاً، وما زال الخلاف قائماً بينهم وقد كبرت هذه القضية ووقع فيها ما وقع من تكفير وتضليل دون داعي إلى ذلك، لأن هذه القضية ليست من الأصول.

وقد وقع بعضهم في خطأ عظيم عندما كفروا غيرهم ((كفر شرك)) ممن قالوا بخلق القرآن، وتكفيرهم هذا أوقعهم في انحرافٍ عن الحق، ولو أنهم قالوا بقدّم القرآن وسكتوا عن من قال بخلقه، لما وصل الأمر إلى وقوعهم في كفر النعمة نتيجة تشريك غيرهم لمجرد أنهم خالفوهم في هذه المسألة.

يعني هؤلاء القوم الذين قالوا أن القرآن غير مخلوق، كفروا من قال القرآن مخلوق كفر شرك. ولو قالوا القرآن غير مخلوق وسكتوا لكان لما وقعوا في كفر النعمة.

ولكنهم لما كفروا من خالفهم في هذه المسألة وقعوا بسبب تكفيرهم هذا في كفر النعمة.

بعض الفرق غالت في هذه المسألة لدرجة أنهم قدسوا أحد أئمتهم، وجعلوه كأن قوله في هذه المسألة لا يجوز مخالفته أو تجاوزه، وهو : الإمام أحمد ابن حنبل الذي دندن عليه أتباعه بسبب هذه المسألة.

وقد أزعجوا الأمة بما يسمونها ((بمحنة الإمام أحمد بن حنبل)) عندما صبر في الفتنة التي مرت في زمانه في عصر المأمون الذي كان يتبنى فكر المعتزلة السائد ذلك الزمان، وكان مذهب المعتزلة يقول بخلق القرآن، والمأمون ليس بحاكمٍ عادي وإنما كان عالماً بأمور الدين.

ولكن غلطة المأمون التي ارتكبها في زمن حكمه، أنه عندما تبني فكرة أن القرآن مخلوق ألزم الناس بالقوة على اعتناق هذه العقيدة ومن لم يقل بخلق القرآن سجنه وعذبه.

والمأمون محق في هذه المسألة من جهة، ومن جهة أخرى فهو مخطئ، أما من ناحية الحق فهو محق في قوله أن القرآن مخلوق وسيوضح هذا لاحقاً، وأما خطأه فكان في إلزام الناس بالقول بخلق القرآن وتعذيبهم وسجنهم إن رفضوا، وهذا ليس بملزم للمسلمين.

وممن صبروا ولم يمثلوا لرأي المأمون أحمد بن حنبل إمام الحنابلة، فقام المأمون بتعذيبه وسجنه، ولكنه صبر حتى انتهت الفتنة فأصبح أحمد بن حنبل كبيراً في نظر أتباعه وأصبح أتباعه يتغنون بهذه المحنة وصبر إمامهم، ولم ينتهِ الأمر إلى هذا الحد، بل قام إمامهم أحمد بن حنبل بعد ذلك بتكفير من خالفه، وقد نقل أتباعه تكفير إمامهم أحمد بن حنبل لمن يقول بخلق القرآن في كتب سيرته.

والحق أن أحمد بن حنبل مخطئ في هذه المسألة، وقد صرح أحد أئمة أهل السنة وهو الإمام محمد أبو زهرة في كتابه المسمى بـ (ابن حنبل) وهو كتاب عن سيرة أحمد بن حنبل قال فيه أن هذه القضية أصاب فيها المعتزلة أي القائلين بخلق القرآن وأخطأ فيها أحمد بن حنبل لأن أدلة خلق القرآن أقوى بكثير من أدلة القائلين بقدوم القرآن.

هذه مجرد خلفية بسيطة عن هذه المسألة وإلا هي بدايتها قبل ذلك.

مسألة تكفير من يقول كذا أو يقول كذا فيها تفصيل لا يسع المقام الآن في ذكره.

ولا يقال عن من يقول بقدوم القرآن كافر كفر نعمة، وإنما يقع في الكفر إن كفر غيره كفر شرك.

والمسألة كما قلت فيها تفصيل ولا نستطيع إيقاع أحكام الكفر دون بيانه.

النقطة الثانية: هل ثبت عن النبي صراحة أن القرآن قديم أو مخلوق؟

لم يثبت عن النبي صل الله عليه وسلم أن قال بالنص الصريح أن القرآن قديم أو أنه صفة لله أو أنه مخلوق، ولم تأتي أية صريحة تنص على أن القرآن قديم أو مخلوق، ولكن هناك أدلة عقلية وعقلية تثبت أنه لا يمكن أن يكون القرآن قديماً.

والعقل يثبت أن القديم هو الله والقرآن شيء غير الله وما عدا الله مخلوق.

وكذلك هناك آيات كثيرة تشير إشارة قوية وتحمل دلالة قوية على أن القرآن مخلوق وسنأتي عليه لاحقاً، أما الأدلة العقلية فتقول أن القرآن هو شيء غير الله موجود في العالم المخلوق حال فيه والعالم حادث بالضرورة، والقديم لا يحل في الحادث، وإنما الحادث الذي يحل في الحادث.

وكذلك القرآن محفوظ، والقديم لا يحفظ وإنما الذي يقبل الحفظ هو الحادث.

كذلك القرآن متلو بالألسن ملفوظ بها، والقديم لا يمكن أن يكون ملفوظاً، وكذلك القرآن وصف أنه مفصل ومنسوخ ومركب ومحكم ومتشابه ومنزل وغيرها من الأوصاف التي لا يتصف بها إلا الحادث.

فهل عقلاً وبعد هذا كله نقول ان القرآن قديم غير مخلوق؟

للعلم... عندما نتكلم عن القرآن نتكلم عن هذا القرآن الذي بين أيدينا المحفوظ في الصدور والآلات والكتب المنزل عن طريق جبريل عليه السلام، الذي تلقاه النبي عنه في ليلة القدر، وعندما نقول حادث أي أنه محدث كان بعد أن لم يكن.

وكذلك عقلاً لا يمكن أن يكون القرآن صفة من صفات الله الذاتية لأنه لا توجد صفة ذاتية تسمى (قرآن) كما زعم أتباع أحمد بن حنبل، وإنما القرآن هو شيء منفصل غير الله موجود عندنا حال في صدورنا، فكيف يقال عنه أنه صفة لله والصفات لا تتفصل عن الموصوف وقد وضحنا هذا في درس الصفات، وإنما الذي نراه هو أثر الصفات وليس الصفة نفسها.

فالقرآن وصفه الله أنه: منزل ومفصل ومحفوظ ومجعول ومكنون، ولا يمكن أن توصف الصفة الذاتية بأنها منزلة ومجولة ومفصلة ومكنونة ومحفوظة.

فعقلاً لا يمكن أن يقال أنزل أو حفظ أو فصل الله صفة العلم أو القدرة أو السمع أو البصرة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

النقطة الثالثة: الرد على شبه حول مسألة خلق القرآن.

هناك أدلة كثيرة في القرآن تثبت أن القرآن مخلوق وليس قديم، وقول المخالفين الذين يقولون أنه صفة لله وأنه قديم قول ساقط، ومن العجب العجائب أنهم يقولون أنه منزل وليس مخلوق، فكيف يكون صفة لله ومنزل؟

هل الله ينزل صفاته؟ وهل يحفظ صفاته؟ ولو سلمنا لهم جدلاً هذا القول فعلى قياسهم كذلك الحديد منزل وليس مخلوق لأنه لم يذكر في القرآن إلا بلفظ التنزيل وكذلك المطر والأنعام.

وقد أوردنا من الآيات في الدرس ما فيها كفاية فمن أراد النظر فيها فليرجع إلى الدرس، وسنكتفي بالرد على بعض الشبهات التي يثيرها المخالفين حول هذا الموضوع.

من الشبهات: يقولون في قول الله: (إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)، قالوا إن الجعل لا يعني الخلق لأنه يأتي مضافاً إلى غير الله كقوله تعالى (وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله) فقالوا هل معنى وجعلوا هنا خلقوا؟

قالوا ذلك لأننا معاشر من نقول بخلق القرآن من ضمن أدلتنا على خلق القرآن أنه (مَجْعُول) بمعنى مخلوق، وللرد على كلامهم أن (الجعل) يعني التصيير من حال إلى حال، ويختلف معناه بناءً على المضاف إليه، فإذا أضيف إلى الله فلا يعني إلا الإحداث، والمحدثات مخلوقة لله، وإذا أضيف لغير الله فهو يفسر على حسب مراده، دون أن يفسر بالخلق لأن الخلق لله وحده ولن يأتي بمعنى الخلق إذا أضيف لغير الله.

ومن الشبه أيضاً قالوا إن علماءكم قديماً كانوا يقولون بقدّم القرآن وقد كفروا من قال بخلقه.

والرد على هذا، إن هناك خلطاً وقع في صفة التكلم وبين أثرها فسموا أثرها وهو الكلام بالصفة الذاتية وعندما أرادوا نفي الخرس عن الله قالوا أن القرآن كلام الله ويعنون بذلك صفة الذات وبما أنهم نفوا الخرس بالقرآن قالوا القرآن قديم فسموا صفة الذات قرآن فخلطوا بين الصفة وأثرها، والحقيقة أن الصفة هي (التكلم) وأثرها هو (الكلام).

والقرآن كلام وليس صفة التكلم ولا تسمى صفة التكلم قرآناً .

ومن الشبه كذلك قولهم أن القرآن قديم لأنه من علم الله وعلم الله قديم وهذا خلط بين العلم والمعلوم فجعلوا المعلوم قديماً كالعلم وهذا خطأ عظيم وانحراف جسيم

لأن القديم هو الله وحده والقرآن كونه قديم في علم لا يلزم قدمه، لأن هذا يلزم منه قديم جميع المخلوقات لأنها جميعها قديمة في علم الله وهذا ضلال مبين.

فالعلم صفة والمعلوم أثر للصفة.

التكلم صفة والكلام أثر للصفة.

القدر صفة والمقدور أثر للصفة،،،، وهكذا.

فلا يخلط بين الصفة وأثرها ويُجعل الأثر قديم مع الصفة.

والحقيقة أن هناك من علمائنا من نفى الخرس بصفة القدرة أي أن الله قادر على خلق الكلام، ولم يثبت لله صفة ذاتية تسمى كلاماً أو تكلاماً، وإنما اكتفى بنفي الخرس بصفة القدرة وهو ما يسمى بالكلام الفعلي أي أن الله إذا أراد أن يتكلم يحدث الكلام أي يخلقه.

وقالوا ذلك لأن الله منزّه عن الصوت والحرف ومنزه عن قيام الحوادث في ذاته، والكلام يتكون من أحرف وكلمات وأصوات ولا يتصف بهذا الوصف إلا المخلوق والله منزّه من هذا الوصف.

وهناك من العلماء من نفى الخرس بإثبات صفة الكلام النفسي أي أنه أثبت لله الكلام النفسي كصفة ذات وهو ما يسمى بالكلام الذاتي وهو غير مخلوق وجعلوا الكلام الفعلي وهو الذي يخاطب به خلقه سواء بالوحي أو بغيره أو بدون وحي مخلوق.

بمعنى آخر أنهم أثبتوا لله صفة التكلم الذاتية وهي الكلام النفسي وصفة الكلام الفعلية وهي خلقه للكلام كتكليم موسى عليه السلام إنزال الكتب.

والحقيقة أن مسألة الكلام النفسي فيها نظر لأن فيها تشبيه الغائب بالشاهد، إلا إذا أريد بها نفي الخرس لا على حقيقتها.

الدرس الحادي عشر

معنى الميزان والصراف في القرآن

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد

أولاً : الميزان:

ورد ذكره في الكتاب والسنة: قال الله تعالى:

(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) وقال تعالى:

(فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون)

وقال تعالى:-

(والوزن يومئذ الحق).

الميزان عبارة عن كناية عن فرز الأعمال وتميز الخير والشر فيها.

يقول الإمام السالمي يرحمه الله في ما معناه :

إن التفاوت الذي بين الشقي والسعيد شبه بثقل الميزان وخفته حيث شبه ثبوت العمل الصالح بثقل الموازين والعمل السيء بخفتها على وجه لا يظلم أحد فيه شيئاً...

فإن من ثبت له العمل الصالح لا ينقص منه شيء.

ومن ثبت له العمل السيء لا يزداد عليه شيئاً،

وذلك هو العدل والإنصاف.

وهو معنى قول الله (والوزن يومئذ الحق).. انتهى بتصرف.

اعلم أخي الكريم وأختي الكريمة إن الأعمال عبارة عن أعراض وليست

أجسام كي تقاس بالميزان الحسي الحقيقي كما ذهب آخرون أن الميزان هو عمود وكفتان وتكلفوا في استنتاجاتهم بلا دليل حيث قال بعضهم إن الأعمال ستتحول إلى أجسام وستوزن وزناً حقيقياً بميزان حقيقي وينتج عنه ثقل حقيقي.

يقول العلامة الخليلي في شرحه على الغاية في ما معناه :

يعرض الله على عباده

ما قدموا

وما أخرجوا

وما أخلصوا فيه الله

وما أرادوا به غير وجه الله

فتقوم الحجة على المسيء بإساءته وينعم المحسن بنعمة القبول من الله. انتهى بتصريف

ومن الأدلة على عدم وجود ميزان حسي قول الله تعالى: (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون)

فشهادة السمع والبصر والجلود على أصحابها هو من تميز خير العمل من شره والله ليس بظلام للعبيد .

قال تعالى (وما أنا بظلام للعبيد)

أي: ولا أنا بمعاقب أحدا من خلقي بجرم غيره ، ولا حاملا على أحد منهم ذنبا غيره فمعذبه به.. تفسير الطبري.

ثانيا : الصراط:

هو الدين الحق والطريق القويم الذي أمرنا الله باتباعه، قال تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم)

وقال تعالى: (إن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه)

وقال تعالى: (إنني هداني ربي إلى صراط مستقيما ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً).

أما الروايات التي تحدثت على أن الصراط هو جسر على متن جهنم (أحد من السيف وأدق من الشعرة) ويعبره الناس ويتفاوتون في عبوره،

يقول الإمام السالمي - رحمه الله - فيه: هو عبارة عن الحق المشروع وذكر أصناف السالكين فيه تمثيل لرتب المكلفين .. انتهى بتصريف.

وهذه الروايات التي جاءت في القول أن الصراط جسر على متن جهنم، تخالف ظواهر نصوص كتاب الله، فالقرآن عندما ذكر جهنم

قال: (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤) الحجر).

وقال تعالى في الزمر: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) ٧١

وهذا دليل واضح وصريح أن جهنم لها أبواب ويدخلها الكفار زمرا وليس كما نصت الرواية فرادى، وكذلك من ظاهر الرواية أن الصراط جسرٌ عليها، أي كأنها فوهة في الأسفل أو حفرة

ويقع فيها من لا يستطيع العبور،

وهذا مخالف لنصوص القرآن التي تثبت أن جهنم ذو أبواب يساقوا إليها الكفار زمرا أي جماعات وليس فرادى ويسقطون عليها من فوق وهي تحتهم.

يقول شيخنا العلامة الخليلي يحفظه الله تعالى:

أما ما جاء في الروايات من أن الصراط جسر على متن جهنم يعبره الناس، إنه أحد من السيف وأن الناس يتفاوتون في عبوره منهم من يعبره كالبرق ومنهم كالريح ومنهم كالفرس ومنهم كالماشى ومنهم من يهوي بهم في النار فما هو إلا تمثيل لتفاوت الناس في اتباع الدين،

فمنهم الحاذق الماهر الذي لا يفرط في شيء منه

ومنهم من هو دون ذلك

ومنهم من ترديه شهواته في جهنم.

ويدل على أن القصد بذلك التمثيل: حديث النواس بن سمعان - رضي الله عنه-... أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: (ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تفرقوا وداع يدعو من فوق الصراط....

فالصراط: هو الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على راس الصراط: كتاب الله والداعي من فوق: واعظ الله تعالى في قلب كل مسلم) انتهى بتصرف.
والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله.

الدرس يتحدث عن نقطتين...

النقطة الأولى: المقصود بالميزان يوم القيامة.

النقطة الثانية: المقصود بالصراط يوم القيامة.

النقطة الأولى: المقصود بالميزان يوم القيامة.

يقول الإمام السالمي - رحمه الله - في أنوار العقول:

وإنما الميزان في الحسابي ** عدل وإنصاف من الرحمن

اختصر رحمه الله معنى الميزان في قوله هو (عدل وإنصاف) من الله سبحانه تعالى وهذا هو الحق والصواب في هذه المسألة، وليس كما قال البعض أن الميزان أو الوزن هو عبارة عن عمود وكفتين لأن العقل والدليل يمنعان هذا الفهم.

عقلاً نقول: إن الأعمال هي عبارة عن أعراض وليست أجساماً كي توزن بميزان حقيقي حسي، والإشكال ولماذا بالتحديد يكون الميزان من كفتين والآن هناك موازين إلكترونية.

طبعاً لكي يتهرب القائلون بأن الميزان عمود وكفتين من هذا الإلزام ألفوا من عقولهم أدلة وأتوا بأشياء غيبية لا أساس لها ولا دليل، وقالوا:

إن الذي سيوزن هي الكتب، وهذا قول مردود؛ لأن الكتب هي محل بيان الأعمال وليس نفسها، وكذلك كيف سيثقل الجسم بالعرض؟

فهل يثقل الجسم بالحرارة؟

أو هل يثقل المصباح بالضوء ؟

إذا هذا قول لا دليل فيه لا عقلاً ولا نقلاً.

قالوا كذلك إن الأعمال ستتحول إلى أجسام.

بمعنى آخر أن الحسنات ستتحول إلى جسم والسيئات إلى جسم وثم بعد ذلك توزن، وهذا كلام غيبي يحتاج إلى دليل نصي من كتاب الله، أو دليل نصي من سنة رسول الله، والحاصل أنه لا يوجد دليل أبداً يعضد هذا الكلام.

قالوا كذلك أن الموزون هو الشخص العامل نفسه وهذا كذلك يحتاج إلى دليل ولا يوجد دليل على ذلك.

والحقيقة كما قلنا أن الوزن هو الحق وكما قال الله تعالى، أي أن السعيد تعرض له أعماله دون أن ينقص منها شيء أو يزداد فيها شيء وعبر عن هذا بثقل الميزان.

وكذلك تعرض على الشقي أعماله دون أن ينقص منها شيء أو يزداد فيها شيء وعبر عن هذا بخفة الميزان.

وأما الآيات التي تثبت معنى الميزان بالعدل والحق فقوله تعالى: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)

وقوله تعالى: (والوزن يومئذ الحق).

تنبيه.. هذه المسألة ليست من أصول العقائد فلا يقال فيها للمخطيء أنت ضال، وإنما من يقع في الضلال هو من يكفر غيره إذا خالفه فيها، فساعتها يقع في الضلال من يكفر غيره.

النقطة الثانية: المقصود بالصرط يوم القيامة.

الصرط هي من المسائل التي وقع الخلاف فيها، فمن طوائف المسلمين قالوا إن الصراط جاء بمعنيين اثنين، وهما أنه يراد بالصرط طريق الله المستقيم والمعنى الآخر هو أنه يراد به كذلك جسر على متن جهنم.

وطائفة أخرى قالت إن الصراط يراد به طريق الله المستقيم فقط، ولا يراد به أنه جسر على متن جهنم.

والأحاديث التي قالت بأنه جسر تخالف نصوص القرآن الصريحة التي تقول بأنه طريق الله المستقيم.

والحق هو مع الطائفة التي قالت إن الصراط يراد به الطريق المستقيم وليس يراد به أنه جسر حقيقي على متن جهنم يعبره الخلائق فرادى وفيهم من يعبر وفيهم من يقع في النار والعياذ بالله، فهذا الكلام يناقض نصوص القرآن، لأن القرآن نص على أن جهنم بها أبواب، ويحشر الناس فيها جماعات ولم يقل القرآن أنها كالحفرة يقع فيها الكفار.

تعالوا نعرض كلام الله في هذه المسألة، فهل سيتوافق مع الجسر المزعوم:

قال تعالى: (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ).

لاحظوا الآية تقول لها سبعة أبواب ولا يمكن صرف هذا المعنى إلى أنه حفرة أو فوهة أعلاها جسر ممدود يعبره الخلق.

وقال الله في موضع آخر: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ أُولَٰئِكَ عَلَيْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ)

وقال تعالى في موضع آخر: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

فالبشارة بتلقاها المؤمن ولا يمكن أن يصادم البشارة موقف مخيف كالعبور على جسر على جهنم لا يدرى أيعبره أم لا.

وكذلك قوله تعالى أيضاً: (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ هَٰذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ).

الآية دليل واضح أن الكفار يساقون زمرا ومعنى زمرا أي جماعات والرواية تقول فيها أن الخلق يمرون فرادى على الجسر ثم يقع من يقع ويعبر من يعبر وهذا مصادم لنص الآية، كذلك الآية تقول (وفتحت أبوابها) فأين الأبواب في الروايات؟

كذلك الروايات لم تذكر الأبواب وإنما ذكرت النار فيها عبارة عن فوهة يسقط الكافر فيها فكيف نوفق بين صريح الرواية وصريح القرآن؟

إذاً كما قلنا أن الصراط ليس كما ذهب القائلون بأنه جسر، وذلك لمخالفة الروايات التي استندوا عليها نصوص كتاب الله الظاهرة.

خالد العمري: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)

سؤال : ما قولكم في هذه الآية التي تذكر (حفرة من النار)؟

الآية فيها إرشاد إلى عدم التفرقة وبيان فضل الله على عباده ونعمه عليهم.

وأنقذهم بفضله ومنه من الوقوع في الهلاك.

شفا حفرة من النار كناية على الهلاك. هذا ما ظهر لي.

لأن الآية تتحدث عن حالهم في الدنيا وليس الآخرة.

ارجعوا بارك الله فيكم إلى تفسير الآية في كتب العلماء.

الأحاديث تنسب للنبي يأتي وصف دقيق للصراط يمر به الناس على حسب عمله فكل يمر عليه ويكون مثل الشعرة وإلى آخره فيما معناه الحديث ولا ندري مدى صحته؟

الحديث على تقدير صحته قمنا ببيانه في الدرس فأرجوا الرجوع إليه.

أما الرواية التي تصف الله بعبور الجسر ويعبر خلفه عباده فهذه الرواية ساقطة ولا يلتفت لها؛ لأنها فيها جرأة على الله.

قوله اتفقت الكلمة على اثبات الصراط، كلام ساقط لا يلتفت إليه، إلا إذا كان يقصد بالكلمة كلمتهم هم، وكلامهم ليس بحجة وإنما الحجة هي الدليل.

ولا يوجد إجماع في هذه المسألة لأن المعتزلة ليسوا هم فقط من ينفون الجسر على جهنم وإنما غيرهم من المذاهب كذلك، فلهذا لا يلتفت إلى كلام هذا المدعي.

الدرس الثاني عشر

الكفر وأقسامه

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد :

ينقسم الكفر: إلى كفر شرك مخرج من ملة الإسلام وإلى كفر نعم أو (النعمة) غير مخرج من ملة الإسلام.

أولاً : كفر الشرك:

وينقسم إلى : كفر جحود و مساواة.

ويقصد بكفر الجحود : هو أن ينكر أو يشك في وجود الله أو صفة من صفاته أو فعل من أفعاله تعالى، كأن يجحد أن الله سميع أو عليم أو محيي أو مميت أو رازق أو معز أو مذل، ومن الجحود أيضاً أن يرد كتاب من الكتب التي أنزلها الله أو يرد آية وينكرها أو حرف من كتاب الله أو رد رسول وجحد إرساله أو نبي أو يرد حكماً مما أنزله الله أو يجحد معلوم من الدين بالضرورة، فهذا كله يدخل في كفر الجحود أو أن يستحل ما حرم الله بلا تأويل وهو شرك مخرج من الملة.

أما كفر المساواة: فهو أن يساوي مع الله أحداً من خلقه أو أن يجعل لله نداً أو إلها يعبد به أو أن ينزل الله إلى منزلة المخلوق ويصفه بصفات المخلوق أو أن يرفع المخلوق إلى منزلة الخالق ويساوي بينه وبين صفات الخالق فهذا كله داخل في كفر المساواة وهو شرك مخرج من الملة.

ومن المعلوم أن مصير الكافر كفر الشرك بقسميه هو إلى النار خالداً مخلداً فيها إن لم يتب من شركه كما أنه تلزم المؤمن البراءة منه ولا يعامل في الحقوق العامة كما يعامل الكافر كفر النعمة.

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) وغيرها الكثير من الآيات التي توضح خلود المشركين في النار.

ثانياً: كفر النعمة :

وهو إما أن يكون استحلالاً بتأويل الخطأ أو الانتهاك.

المستحل بالتأويل الخطأ : هو استحلال الفاعل ما حرم الله متمسكاً بتأويل خاطئ.

وأما من استحل بلا تأويل فهو مشرك.

أما المنتهك : هو ما فعل بانتهاك لضعف مع اعتقاد حرمة.

كما يطلق أيضا على كفر النعمة بالنفاق العملي كما جاء عن رسول الله : (آية المنافق ثلاث إذا وعد أخلف وإذا حدث كذب وإذا ائتمن خان).

وكفر النعمة غير مخرج من الملة بحيث يبقى صاحبه على ملة الإسلام وله ما للمسلمين من حقوق كالمناكحة والموارثة ورد السلام والدفن في مقابر المسلمين وغيرها من الحقوق العامة ما عدا الولاية ووجوب البراءة منه.

وسياأتي بيانه في درس الولاية والبراءة والوقوف، ومصيره الأخروي إذا لم يتب كمصير المشرك وهو الخلود في النار كما هو واضح في كتاب الله وسنة نبيه.

ومن الأدلة على كفر النعمة : قال تعالى: (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) وقال تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) وقال تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)

ومن السنة : قال عليه الصلاة والسلام: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) وقال - عليه الصلاة والسلام - : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)

تنبيه: كفر النعمة ليس فقط يطلقه الإباضية على العصاة الموحدين، كذلك المخالفين يطلقونه بهذا اللفظ وبألفاظ أخرى ككفر دون الكفر والكفر العملي والكفر الأصغر .

وعلى هذا: يتبين لنا أن الكافرين يختلفان في الأحكام الدنيوية ويتفقان في المصير الأخروي وهو الخلود في النار.

والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله تعالى علينا.

النقاط التي يتحدث عنها الدرس:

النقطة الأولى: الكفر ينقسم إلى: كفر شرك وكفر نعمة.

النقطة الثانية: كفر النعمة، أقسامه وما يترتب عليه من أحكام في الدنيا والآخرة.

النقطة الأولى: الكفر ينقسم إلى كفر شرك وكفر نعمة.

اعلم يرحمك الله أن المكلف في هذه الدنيا إما أن يتصف بالإيمان وإما أن يتصف بأحد الكافرين وهما كفر الشرك أو كفر النعمة ولكل من هذه الأوصاف لها أحكامها في الدنيا والآخرة، وموضوعنا يدور حل تعريف الكافرين وهما: كفر الشرك وكفر النعمة.

أما كفر الشرك فينقسم كما قلنا إلى: كفر جحود وكفر مساواة.

أما كفر الجحود: فهو أن ينكر أو يشك المكلف في الله ووجوده وصفاته الذاتية أو صفاته الفعلية أو أن ينكر الكتب التي أنزلها على أنبيائه أو أن ينكر رسله وملائكته واليوم الآخر وما يشمل. فإنكاره أو شكه في هذه المسائل تخرج صاحبها من ملة الإسلام وتدخله في كفر الشرك والعياذ بالله.

أما كفر المساواة فهو أن يساوي بين الله وخلقه أو أن يجعل لله شريك يعبد أو أن يجعل له ندا أو أن يساوي بين صفات الله وصفات المخلوق كأن يصف الله بصفة ويصف المخلوق بنفس الصفة، كأن يصف المخلوق بالقدّم أو أن يصف علمه بالقدّم أو المطلق ويصفه بمعرفة الغيب أو أن يصف سمعه أو بصره أو قدرته أو حياته بالقدّيمة المطلقة أو أن يصفه بنفس الوصف في أفعال الله من إحياء وإماتة ورزق وقبض وبسط وإعزاز وإذلال وهكذا ،

أو أن ينزل الله إلى منزلة المخلوق ويصف الله بصفات المخلوق المحدودة المقيدة كأن يقول سمع الله له نهاية ومحدودية أو علمه بدأ باكتساب أو قدرته تعالى محدودة ومكتسبة أو أن يصفه تعالى بالصفات المستحيلة كصفة الجهل والعجز والموت والصمم والعمى وغيرها من صفات المخلوق، فهذا كله يعتبر كفر مساواة، وهو شرك مخرج من ملة الإسلام.

تنبيه، المقصود بكفر المساواة في الصفات هي المعاني أي معاني الصفات وليست ألفاظ الصفات لأن الألفاظ تتشابه وذلك لتقريب الفهم ولا يلزم من تشابه الألفاظ أن تتشابه المعاني، وقد وضحنا هذا في درس الصفات الذاتية.

ما أحكام كفر الشرك في الدنيا والآخرة؟

المشرك يلزمه التوبة من شركه، وذلك بأن يدخل في الإسلام ويعمل بمقتضى إيمانه الذي اتصف به بعد دخوله الإسلام، فإن دخل الإسلام فله ما للمسلمين من حقوق وله الولاية من المسلمين، فإن أصر على كفره فيلزم المؤمن البراءة منه والعمل على تطبيق التعامل مع المشرك على حسب ما قررت الشريعة الإسلامية.

أما حكمه في الآخرة إن لم يتب فهو كما قرره القرآن والسنة الصحيحة، فقد نصت الآيات الكريمة والسنة النبوية أن الكافر كفر شرك هو في النار خالد مخلد فيها لا خروج منها ولا راحة فيها وهذا هو حكم الله فيه.

النقطة الثانية: كفر النعمة أقسامه وما يترتب عليه من أحكام في الدنيا والآخرة.

كفر النعمة، سمي بهذا الاسم لأن صاحبه بعد أن أنعم الله عليه بهذه النعم في الحياة، فبدل أن يقابل هذه النعم بالشكر والطاعة لله قابله بمعصية الله، ولهذا سمي بكفر النعمة، وهو ارتكاب المعاصي، ويطلق على المسلم الذي يعصي الله، وذلك بارتكاب كبيرة من الكبائر.

والكافر كفر النعمة لا يخرج من ملة الإسلام إن كانت المعصية التي ارتكبها منتهكاً لها، أي أنه يرتكب المعصية ويعتقد حرمتها.

وكذلك إن ارتكب المعصية وهو مستحل لها بتأويل أي متمسك بشبهة، فهو ما يزال في ملة الإسلام، وأما إن كان مستحلاً لها ولم يكن متمسكاً بتأويل فهو مشرك.

إذا كفر النعمة ينقسم إلى: انتهاك واستحلال بتأويل.

انتهاك بمعنى أنه يرتكب المعصية ويعتقد أنها حرام.

واستحلال بتأويل بمعنى أنه حل لنفسه تلك المعصية وهو متمسك بتأويل آية أو حديث ويظن بحلية تلك الفعل أو القول.

كما فعل الخوارج الأزارقة والنجدات عندما استحلوا دماء المسلمين بالكبيرة متمسكين بشبهة وهي آية أولوها على غير مرادها، وبناءً على فهمهم لها استحلوا دماء المسلمين بارتكاب الكبائر.

أما إن كان استحللهم بدون تأويل فهو وقوع في كفر الشرك وليس في كفر النعمة، لأن استحللهم هنا هو يقع في باب كفر المساواة بينهم وبين الله لأن الله هو المحرم والمحلل لا غيره.

ما أحكام كفر النعمة في الدنيا والآخرة؟

الكافر كفر نعمة لا يخرج من ملة الإسلام ويلزمه التوبة قبل الموت، وله الحقوق الدنيوية من توريث وتزويج ورد السلام والمعاعدة والمعاونة والدعاء الدنيوي والبر إن كانا والدين وأرحام، وغيرها إلا الدعاء الأخروي والولاية.

فلا ولاية للكافر كفر النعمة، وأما حكمه في الآخرة إن لم يتب فهو في النار خالد مخلد فيها لا ينقطع عذابه، ولكن عذابه أقل من عذاب المشرك لأن النار دركات.

ولا يُدعى له بالرحمة بعد موته، ويصلى عليه إن مات، ولا يخصص بالدعاء، وإنما يجعل الدعاء عند الصلاة عليه عاماً، فإن كان قد مات على توبة دون علم أحد سيدخل في جملة من دعي له، وكذلك لا يُترضى عليه ولا يقال له المرحوم فلان وإن كان صالحاً.

الدرس الثالث عشر

التوبة ومصير المؤمن التقي والكافر الشقي

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد :

ثبت في كتاب الله والسنة النبوية الصحيحة التي لا تخالف القرآن نصوص واضحة جلية تثبت خلود أهل الجنة بلا خروج منها، وكذلك نصوص واضحة جلية بخلود أهل النار في النار والعياذ بالله بلا خروج منها .

والسؤال المطروح :

من هم أهل الجنة؟ ومن هم أهل النار؟

أولاً: أهل الجنة:

هم المتقين الذين ثبتوا على دين الله ولم ينحرفوا وإن زاغ منهم أحد عن هذا الطريق بفعل معصية ما، رجع إليه تائباً توبة نصوحة نادماً على ما فعل، وفي القرآن شواهد كثيرة على ذلك .

من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: (إن للمتقين مفازاً * حدائق وأعناباً) ، وقال تعالى: (إن الأبرار لفي نعيم) ، وقال تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) ، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ، وقال تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) ، وقال تعالى : (قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا) ، وقال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ {١} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ {٢} وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ {٣} وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ {٤} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ {٥} إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ {٦} فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ {٧} وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ {٨} وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {٩} أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ {١٠} الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {١١})

وغيرها الكثير من الآيات التي تثب خلود أهل الجنة وكيفية صفاتهم التي أوصلتهم إلى هذه المرتبة العظيمة والفوز المطلوب.

من السنة النبوية:

أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

(يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل النار لا موت ويا أهل الجنة لا موت كل هو خالد فيما هو فيه).

ثانياً: أهل النار:

هم الكفار المشركون والعصاة الموحدون الذين ماتوا بلا توبة وهناك أدلة من القرآن والسنة ومنها.

من القرآن الكريم:

قال تعالى: (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية)، وقال تعالى: (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ).

وأما من الأدلة التي صرحت بخلود العصاة الموحدين الذين ماتوا بلا توبة :

قال تعالى: (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) السيئة هنا نكرة وحكمها تحمل على العموم، ولا حجة لمن فسرها بالشرك لأن الخطيئة التي تحيط بصاحبها هي المعصية التي يستمر عليها ولا يجد لنفسه مخرجاً منها وأما الشرك فيكفي أنه في ذاته يوجب النار ولا حاجة للمشرك ارتكاب المعاصي فبمجرد شركه هو خالد في النار .

ومن الأدلة قوله تعالى: (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) الآية في بيان أحكام المواريث وليست في المشركين فكما وضحنا أن الشرك يكفي في ذاته خلود صاحبه في النار.

وقوله تعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) الآية التي قبلها (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً خطأً) بينت حكم القتل الخطأ والكفارات التي تلزم المؤمن نتيجة قتل النفس خطأً، والآية التي بعدها والتي فيها دليلنا على خلود العاصي بينت حكم قتل العمد ومصيره كما هو واضح من وعيد توعده الله له بالخلود فيه.

من السنة النبوية:

قال - عليه الصلاة والسلام - : (من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً)

وقال - عليه الصلاة والسلام- : (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام)، وقال - عليه الصلاة والسلام- : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر).
وقال - عليه الصلاة والسلام- : (لا يدخل الجنة نمام)، وقال - عليه الصلاة والسلام- : (لا يدخل الجنة قتات).

هذه أدلة صريحة تثبت خلد الكافر كفر شرك والكافر كفر نعمة إن ماتوا بلا توبة.

والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله تعالى علينا.

درس اليوم مهم جدا وسيكون التعليق عليه طويلا بعض الشيء.

النقاط:

النقطة الأولى: أهل الجنة وأهل النار.

النقطة الثانية: خلود العصاة ونقض أدلة القائلين بخروجهم من النار.

النقطة الثالثة: التوبة من الذنوب وإثبات لزومها قبل الموت.

النقطة الأولى: أهل الجنة وأهل النار.

ثبت بالأدلة القطعية من القرآن والسنة النبوية أن المؤمن التقي سيدخل الجنة ويعيش في نعيمها عيشة لا نهاية لها بمشيئة الله وثبت كذلك بالأدلة القطعية من القرآن والسنة النبوية أن الكفار المشركين والعصاة الموحدين إن ماتوا بلا توبة فهم في نار جهنم يذوقون عذابها إلى ما لا نهاية بمشيئة الله.

وقد أوردنا الأدلة على ثبوت دخول الفريقين، فريق الجنة في الجنة، وفريق النار في النار والعياذ بالله، ولا داعي لكتابتها مجدداً ومن أراد الإطلاع عليها فليرجع للدرس.

ولكن هناك وقع خلاف في مسألة الموحدين الذين يموتون بلا توبة كونهم مسلمين وليسوا مشركين،

فقالت طائفة من المسلمين أن هؤلاء الموحدين هم مسلمون في الأصل وتوحيدهم لله يكفي في دخولهم الجنة وإن ارتكبوا بعض المعاصي وماتوا بلا توبة.

وقالت طائفة من المسلمين أن هؤلاء نعم مسلمين ولكنهم نقضوا إيمانهم بالمعاصي، بحيث اتصفوا بخلاف الإيمان وهو كفر النعمة، وبما أنهم ماتوا دون توبة فهم في النار خالدين فيها.

و الفصيل في هذا الأمر هو الدليل والدليل يكون من القرآن والسنة الصحيحة، وهو في جانب القائلين بدخول العصاة الموحدين الذين ماتوا بلا توبة النار وخلودهم فيها.

فالحق في هذه المسألة معهم لثبوت ذلك وليس مع الذين قالوا بخروج العصاة وقالوا كذلك أنهم تحت مشيئة الله إما يغفر لهم وإما يعذبهم على قدر معاصيهم.

ولتوضيح هذا الأمر سنخوض في أدلة القائلين بخروج العصاة من النار وإليكم التفصيل في النقطة الثانية.

النقطة الثانية: خلود العصاة ونقض أدلة القائلين بخروجهم من النار.

من المعلوم أن عقيدة المسلم الصحيحة هي الضابط الديني والأخلاقي والسلوكي العملي والقولي له، لأن العقيدة السوية التي تدعوا إلى الابتعاد عن الفواحش والأخطاء، وتدعوا إلى التمسك بالأخلاق الحميدة والدين القويم هي العقيدة الصحيحة التي جاء بها النبي وكان يدعوا لها، وأما العقيدة التي تدعوا إلى الفواحش والمعاصي السلوك السيء وتدعوا إلى التساهل في هذه الأعمال والأقوال فهي عقيدة باطلة.

فالنبي بعثه الله ليتم مكارم الأخلاق ومكارم الأخلاق لا تتم إلا بالابتعاد عن كل ما يتسبب في إسقاطها، والقول بأن الإنسان إذا عصى الله وارتكب الفواحش سيغفر له أو يعذب على قدر المعصية التي ارتكبها قول يفتح الباب أمام المسلم كي يرتكب من المعاصي ما يشاء ويفتح له الباب للاعتداء على غيره، فهو في الأخير على قولهم سيدخل الجنة وإن ظلم وسيتنعم في الجنة مع المظلوم.

القائلين بخروج العصاة، قالوا إن العاصي الذي يموت بلا توبة سيكون تحت مشيئة الله إما أن يغفر له، وإما أن يعذبه على قدر ذنوبه، وهذا القول لم يبنى على دليل قرآني قطعي، وإنما ما فعلوه أنهم اقتطعوا آيات من القرآن وظنوا أنها على حسب فهمهم تثبت خروج العصاة، كما أنهم استدلوا بروايات صريحة على خروج العصاة.

والحقيقة، هذه الروايات تتصادم مع القرآن وكذلك تتصادم مع الأحاديث النبوية التي تثبت دخول العصاة النار، وإليكم هذه الأدلة:

من الأدلة التي تشبثوا بها ويعتبر من أقوى ما استدلوا به،، قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).

ووجه استدلالهم في الآية أنهم جعلوها قسمين:

الأول: إن الله لا يغفر للمشرك إن مات من غير توبة، وهذا نتفق فيه معهم.

الثاني: إن المسلم العاصي إذا مات بلا توبة فهو تحت مشيئة الله إما أن يغفر له وإما أن يعذب على قدر معاصيه ثم يخرج ويدخل الجنة ويتنعم فيها حتى أنه يغطيه أهل الجنة على النعيم الذي هو فيه.. وهذا الفهم لا نوافقهم فيه.

ونرد على فهمهم للآية :

أولاً :

أين التنصيص في الآية بالخروج من النار؟

الإثبات في خروجهم من النار وهنا الخلاف فأين التنصيص الصريح في ذلك؟ والدخول في النار ثبت بالتنصيص الصريح.

إذا الآية ليست محكمة لعدم وجود صلاحية الدليل فيها على المراد.

وبناء العقائد لا يكون باتباع المتشابه لأنه زيغ كما نصت بذلك الآية السابعة من سورة آل عمران (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه).

آيات دخول النار واضحة ناصة على دخول العاصي والمشرک وخلودهم في النار، فأين التنصيص في الآية على الخروج؟

ثانياً:

يقول الله تعالى في سورة النساء: (إنما التوبة على الله للذين يعملون سوءاً بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً).

ويقول الله تعالى في سورة الفرقان:

(والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً * إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً * ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً).

هاتان الآيتان هما من يسقط فهم من قال بعدم الخلود مستدلاً بمفهوم المشيئة أعلاه،، فإذا كان العاصي الذي مات بلا توبة على زعمهم أنه إما أن يغفر له ولا يعذب وإما أن يعذب على قدر ذنوبه فقط.

فكيف يتوافق هذا الفهم مع التنصيص الصريح في آيتي سورة النساء: (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) وقد توعدهم في آخر الآية بعذاب أليم. وهم يقولون سيكون تحت المشيئة حسب فهمهم لها.

وكذلك في آيات سورة الفرقان قال بعد أن ذكر الشرك والقتل والزنا: (يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً) ثم قال (إلا من تاب) فلو كان على حسب فهمهم أنه لا يلزم التوبة وأنه إما أن يغفر له أو يعذب على قدر ذنوبه فلماذا الآية تصرح أنه لا يغفر له إلا بالتوبة؟

إذاً لابد من التوبة لغفران الذنوب ولا حجة لهم فيما ذهبوا إليه.

ثالثاً:

إذا كانت الحجة في قول الله تعالى (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

فهم ملزمون بتطبيق هذا الفهم في هذه الآية أيضاً (ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم).

فهم يخصون المنافق أنه هو من أخفى الشرك وأظهر الإسلام وهم يقطعون بخلود المشركين في النار، فإن كان العاصي مغفورا له على حسب فهمهم للمشينة فيلزمهم أيضاً أن يقولوا أن المنافقين المشركين هم تحت المشينة ومنهم من سيغفر له ويدخل الجنة وبهذا يتناقض كلامكم في خلود المشرك.

كذلك استدلووا بروايات على خروج العصاة ومن هذه الروايات:

روى البخاري ومسلم عن أبي ذر - رضي الله عنه - قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ وَهُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ فَقَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفٍ.. أَبِي ذَرٍّ.. وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ)

هذه الرواية أسمىها بطاقة دعوة لمعصية الله.

ماذا قال القائلين بالخروج في هذا الحديث؟

قالوا : كما أن المعاصي مهما عظمت لا تحبس صاحبها عن الجنة ولا تحكم له بالخلود في النار، حتى وإن مات مصراً على فعلها، فهو حينئذ في مشيئة الله عز وجل إن شاء عفا عنه وهو الغفور الرحيم، وإن شاء عذبه بها وهو العزيز الحكيم، ثم يخرج من النار طاهراً مطهراً إلى الجنة، وذلك ما دام لقي ربه على التوحيد لا يشرك به شيئاً.

أي أنه لا تلزمه التوبة وإن مات مصراً على كبائره فكلمة التوحيد كفيلاً أن تجعله من أهل الجنة، وهذا الفهم كما وضحنا سابقاً مصادم لكلام الله في سورة النساء والفرقان، الآيتان اللتان تلزمان الإنسان بالمسارعة إلى التوبة قبل الممات وهناك الكثير من الآيات تدعو الإنسان بالمسارعة إلى التوبة قبل فوات الأوان.

ولو تأملنا الرواية أعلاه لوجدناها على فهمهم هي بطاقة دعوة لفعل المعاصي وارتكاب الفواحش والجرائم.

تقول الرواية: وإن زنى وإن سرق إذا كان مصراً على فاحشة الزنا ومات على إصراره بلا توبة سيدخل الجنة

الله تعالى نهى عن الزنى في قوله (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً)، وهؤلاء كأنهم يفتحون باباً لفاحشة الزنى بهذه الرواية، وفوق ذلك سيدخل الجنة رغم أنف أبي ذر، ونحن حقيقة ننزه الصحابي أبا ذر عن هذا القول، وإن صح الحديث فيحمل على التوبة موافقة لكتاب الله.

ثم إن فهمهم للرواية يصادم قوله تعالى في سورة الفرقان (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً * إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً * ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً).

الله تعالى ممن توعدهم في الآية بالعذاب هو الزاني وقد توعد به بالعذاب المهين خالداً فيه إن لم يتب .

وربما يقولون الزاني المشرك ..

وجوابه كما وضعنا سابقاً: أن الشرك يكفي في ذاته بخلود صاحبه في النار فلا داعي كي يزني أو يقتل نفساً ليخلد في النار .

فلو فرضنا أن مشركاً لم يزني ولم يقتل في حياته فهل سينجوا من النار؟

فلا حجة لا اعتراضهم، فالآية في المشرك والموحد العاصي وقد توعدتهم بالخلود في النار.

تنبيه..

هذه العقيدة ليست وليدة هذا اليوم وإنما لها منبت قبل أن تدخل في صميم عقائدهم، ومنبتها هم اليهود وقد أخبر الله تعالى عن ذلك في كتابه حيث قال: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون * بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) تأمل كيف تجرأ اليهود بغير علم على الله بقولهم لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة وتأمل الرد الإلهي الرادع الذي أسقط هذه الأكذوبة التي تشبث بها اليهود فهل بعد هذا كله أكون ممن يتمسك بهذه العقيدة وأنشبت بما تشبثت به اليهود. يقول الله تعالى: (ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً).

النقطة الثالثة: التوبة من الذنوب وإثبات لزومها قبل الموت.

يقول الله سبحانه وتعالى حاثاً عباده قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه لا مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم:

(وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

وقال في موضع آخر: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ).

وقال تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّوَاءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً).

وقال تعالى: (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

وقال تعالى: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا).

وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : (إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر).

وقال - عليه الصلاة والسلام- : (كل بن آدم خطأ وخير الخطائين التوابون). وإن كان في سنه كلام فإن في معناه توافق مع كتاب الله.

آيات كثيرة وأحاديث ليست بقليلة تثبت وجوب التوبة قبل الموت، وسنقتصر على ما أوردناه منها أعلاه .

من هو المخاطب بالتوبة؟

هو الذي إما أن يكون ارتكب ما حرم الله أو ترك ما فرض الله عليه فعلى هذا المعنى تكون التوبة فرضاً واجباً على المكلف ولا يسعه تجاهلها أو الاستهانة بها.

أركانها :

الندم على ارتكاب المعصية

و الإقلاع عنها

و العزم على عدم الرجوع للمعصية

و الاستغفار

جمع الإمام نور الدين السالمي - رضي الله عنه - أركان التوبة في شرح جميل حيث قال في (البهجة):

(فإن العبد إذا نظر الى أوامر الله تعالى وإلى نواهيه وعزم على امتثال ذلك انبعثت نفسه وتحرك خاطره إلى تدارك ما ترك من الأمور والإقلاع عما ارتكب من المنهيات وأورثه ذلك الامتثال الندم على ما فات من الزلات فالتجأ إلى الله تعالى طالباً لغفران الخطايا والسيئات فكان ذلك منه هو التوبة بعينها.) انتهى بتصرف

هل التوبة واجبة على مرتكب الكبيرة والصغيرة أم الكبيرة دون الصغيرة؟

يجب أن نعرف ما هي الكبيرة وما هي الصغيرة .

الكبيرة: هي الذنب الذي يوجب لفاعله حد في الدنيا كالزنا والسرقه وشرب الخمر أو وعيد في الآخرة مثل الربا ويدخل في هذا النوع اللعن الذي ترتب على فاعله بسبب فعل أتاه أو ما اقترن بسخط من الله أو تقبيح فاعل بسبب فعل أتاه كقول النبي - صلى الله عليه وسلم- (قبح الله فاعل كذا).. راجع بهجة الأنوار

والحكم في مرتكب الكبيرة أنه ملزم بالتوبة قبل الموت.

أما الصغيرة: هي الذنب الذي لم يثبت على فاعله حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة، ولها حكم مشترك مع الكبيرة وهو كون الإصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة فيلزم المكلف بعد ذلك واجب التوبة.

وللصغيرة حكم خاص أخروي وهو أنها مغفورة باجتنب الكبائر وفعل الطاعات قال تعالى: (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة).

إذن التوبة واجبة على مرتكب الكبيرة دون الصغيرة إذا لم يكن صاحب الصغيرة مصراً عليها.

هل للتوبة وقت تقبل فيه ووقت لا تقبل فيه؟

التوبة النصوحة يقبلها الله في العمر كله إلا في موضعين وهما:

أولاً: وقت الغرغرة بالموت ومشاهدة أسباب الموت.

قال تعالى: (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن). وقال- رسول الله صلى الله عليه وسلم- (إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغ) فكونه مصراً فتوبته ساعتها عن اضطرار منه لتيقنه حضور الموت ومفارقة الدنيا.

ثانياً: طلوع الشمس من مغربها وهو من علامات قيام الساعة قال تعالى: (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) فبظهور هذه الآيات يتيقن بفساد الدنيا وانقضائها.

هناك شرط آخر في من ارتكب ذنباً ترتب عليه ظلم غيره ولحق على إثره تبعات على المذنب وهو شرط إرجاع المظالم لأصحابها عند المقدرة أو بحل منهم، وفي هذا تفصيل وخلاف في ما إن كان مستحلاً أو منتهكاً، ولا يسع المقام لذكر الخلاف لعدم الإطالة ونكتفي بقول الإمام السالمي يرحمه الله في هذه المسألة حيث قال في ما معناه:

إن كان هذا المذنب مستحلاً مشركاً فلا يلزمه غرم ما أتلّفه في حال شركه على المسلمين ولا يلزمه رد ما أخذ منهم بعد أن أسلم ولو كان باقياً في يده، وإن كان المستحل من أهل القبلة فإنه يلزمه رد ما أخذ على المسلمين باستحلاله وغرمه إن كان قد تلف من يديه لأنه لا تحل أموال أهل القبلة بنفس الاعتقاد لحلها.. انتهى بتصرف

أي بهذا الشرط يلزمه مع التوبة التخلص مما أخذه بلا وجه حق أو أن يتحلل من صاحبه.

تعقيب على درس الخلود في النار:

قلنا إن أقوى دليل تمسك به القائلون بخروج العصاة من النار هو قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)، ووجه استدلالهم في هذه الآية هو قوله تعالى: (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).

نلاحظ أنهم اقتطعوا هذا الشق من الآية: (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)، وقالوا على حسب فهمهم أن الله بهذه الآية جعل العصاة الموحدين تحت مشيئته فقسّموا فهمهم لها على أن الموحّد العاصي الذي مات بلا توبة:

إما أن يشاء الله ويغفر له

وإما أن يعذبه على قدر معاصيه

بمعنى أنهم جعلوا الشق الأول من الآية

(إن الله لا يغفر أن يشرك به) في المشركين

واقطعوا الشق الثاني:

(ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وجعلوه في العصاة الموحدين.

وهذا الفهم يسقطه آيات محكمة و صريحة في لزوم التوبة قبل الموت وإلا العذاب والخلود.

فهم يقولون على حسب فهمهم أن الآية معناها أن هناك من سيغفر لهم الله ولن يدخلوا النار وهناك من سيعذبهم على قدر معاصيهم ثم يخرجون ويدخلون الجنة.

لنأتي أولاً على قولهم أن هناك من سيغفر لهم الله دون أن يعذبهم.

هذا الكلام غير صحيح لوجوب التوبة والآيات تنص على لزومها قبل الموت وهناك شواهد كثيرة من القرآن على ذلك ومنها قوله تعالى : (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً).

في هذه الآية دلالة قوية إن الله لا يغفر الذنوب عند الغرغرة، فكيف يقولون أنه هناك من يشاء الله أن يغفر لهم ولا يدخلون النار، وهنا الله يقول (وليست التوبة) وفي نهاية الآية توعدهم بالعذاب (لهم عذاباً أليماً).

هذه الآية تسقط قولهم أن هناك من سيغفر له الله دون أن يدخل النار، ويبقى لدينا فهمهم الثاني عندما قالوا أن هناك من يشاء الله ويعذبه على قدر معاصيه، وهذا الفهم ساقط كذلك لأن قوله تعالى الذي اقتطعوه: (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) لا يوجد فيه نص صريح على الخروج الذي زعموه، فأين قال الله في هذا النص أن الله هناك من يعذبه على قدر معاصيه ويخرج؟ أين لفظ الخروج في الآية؟

وحقيقة هذه الآية أنها تخاطب المشركين لتحظهم على الدخول في الإسلام وقوله تعالى : (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) أي أنه تعالى يغفر ما دون الشرك من المعاصي التي ارتكبها المشرك وهو في شركه، لأن الإسلام يجب ما قبله.

انتهى التعقيب

مداخلة لتمام الفائدة:

من ضمن الأدلة التي استند إليها القائلون بخروج العصاة من النار أنهم قالوا: الخلود إذا لم يقرن بالتأبيد أي إذا لم يأتي الخلود بدون تأبيد كقوله تعالى (هم فيها خالدون) فالخلود هنا يعني المكث الطويل أي المؤقت.

وإن جاء الخلود مقرونا بالتأبيد كقوله تعالى (خالدين فيها أبدا) فالخلود هنا إلى ما لا نهاية.

وقالوا إن الخلود في حق العصاة لم يأت مقرونا بالتأبيد، وهذا استدلال باطل ويكفي في رده حديث من يقتل نفسه متعمدا (من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا فيها أبدا..... إلخ)

وكذلك لا يشترط بالخلود الأبدي أن يأتي مقرونا بلفظ (أبدا) ليفيد التأبيد،، لأن هناك آيات في أصحاب الجنة لم يأت لفظ الخلود فيها مقرونا بالتأبيد كقوله تعالى:

(أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) فهل هذا يعني أن أهل الجنة نعيمهم منقطع لعدم وجود لفظ (أبدا) في الآية؟

كذلك هناك آيات هم قالوا على فهمهم أنها تخاطب المشركين وليس المسلمين كقوله تعالى: (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون).

قالوا إن المقصود بالسيئة في الآية هي سيئة الشرك والخطاب هنا لليهود.

إذا كانت السيئة هنا هي الشرك والخطاب لليهود فقط وليس عاما فيلزمهم أن يقولوا بخروج المشركين من النار لأن الخلود في الآية لم يأت مقرونا بالتأبيد.

وقد يقولون أن الخلود المؤبد للمشركين جاء ثابت في آيات أخرى.

ونقول لهم إذن ليس بشرط إذا جاء الخلود غير مقرون بالتأبيد أن يكون بمعنى الخلود المنقطع. وإلا لما ذكره الله في عدة آيات بدون تأبيد في حق أهل الجنة وأهل النار.

وبهذا يسقط هذا الاستدلال الذي تمسكوا به والحمد لله رب العالمين.

الدرس الرابع عشر

معنى الشفاعة ولمن ستكون؟

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد:
ثبت لدينا بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة خلود الكافر كفر شرك والكافر كفر نعمة إن ماتوا بلا توبة في النار، ولا عبرة لمن خالف في كفر النعمة.
وعليه فإن الشفاعة لا تكون إلا لمن جانب المحرمات وأدى الواجبات وهو المخاطب في قوله تعالى: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى).

والشفاعة بعيدة عن من وقع في شيء من المحرمات أو ترك شيء من الواجبات ومات على ذلك بلا توبة وهو داخل في قوله تعالى: (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع).
وفي آية أخرى يخاطب الله المؤمنين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بِنِعْمٍ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حينما نزلت: (وأندر عشيرتك الأقربين)... يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشتريا أنفسكما من الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً.
وفي صحيح مسلم قال- عليه الصلاة والسلام- : يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت رسول الله سليمان بما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً .

إذا ما الشفاعة؟

الشفاعة: هي طلب الخير من الغير للغير.

واصطلاحاً : هي درجة يمنحها الله لمن يشاء من عباده يوم القيامة فيأذن له أن يطلب لغيره غفران ذنب أو رفع درجة أو تعجيل دخول الجنة.

والشفاعة العامة تكون للرسول - صلى الله عليه وسلم-. انتهى بتصريف (شرح غاية المراد).
سيتبادر سؤال في ذهن البعض ويقول: إذا مات العاصي تائباً فلماذا سيحتاج إلى شفاعة بما أنه سيدخل الجنة؟

الجواب : هو بيان لفضل الله على التائبين بقبوله لتوبتهم وإظهار لمزية الشافعين ورفعة درجاتهم.

أما الروايات التي تقول (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) فهي باطلة فيها ضعف في سندها وكذلك يتضح من متنها أنها موضوعة لأنها تصادم النصوص القطعية من كتاب الله وكذلك تصادم رواية أخرى ونصها: (لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي).

وكذلك الرواية تتعارض مع الروايات التي تقول : (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام).

وقال - عليه الصلاة والسلام - :

(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر).

وقال - عليه الصلاة والسلام - : (لا يدخل الجنة نمام)

وقال - عليه الصلاة والسلام - : (لا يدخل الجنة قتات)

فكيف لرسول الله بعد كل هذا يقول شفاعتي لأهل الكبائر وفي موضع آخر ينفي دخولهم الجنة؟ أليس هذا تناقض؟

ونحن حقيقة لا نسلم بصحة ما نسب لرسول الله مما يخالف كتاب الله وفي نفس الوقت يخالف قولاً آخر صادراً منه - عليه الصلاة والسلام - .

ولو تأملنا في هذه المسألة بعين العقل فالرواية التي تقول شفاعتي لأهل الكبائر لوجدنا فيها مستساغاً لفعل الفواحش والمنكرات ولفتحنا لنا طرق الانحراف بلا رادع، ففي الأخير سيشفع لنا النبي وهذا باطل فكيف سيشفع النبي لأهل الكبائر

وهو القائل: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

وقال الله عنه: (وإنك لعلی خلق عظیم)

فهل من أخلاق النبي أن يفتح باباً لفعل الكبائر؟

حاشاه .

أليس هو القائل لفاطمة ابنته وصفية عمته : (اشترى أنفسكما من الله فإني لا اغني عنكما من الله شيئاً).

والخلاصة: إن الشفاعة بتعدد مشفعيها يوم القيامة فهي ليست لأهل الشرك أو أهل المعاصي الذين ماتوا بلا توبة.

والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله علينا.

النقاط التي تحدث عنها الدرس:

١ . الشفاعة أنواعها وأقسامها.

٢ . الشفاعة لمن ارتضى الله.

النقطة الأولى: الشفاعة أنواعها وأقسامها.

في الدرس الماضي أثبتنا بالأدلة القطعية أن مرتكب الكبيرة الذي يموت بلا توبه جزاؤه النار خالداً فيها، وأثبتنا كذلك أنه لا مغفرة له قبل دخول النار عند الحساب لأن الله تعالى قال في سورة النساء (وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً) إذ توعدهم الله بالعذاب الأليم.

وفي هذا الدرس نأخذ عن مفهوم الشفاعة ولمن ستكون، وبما أنه ثبت لدينا بالقواطع أن العاصي مخلد في النار فإن الشفاعة لن تناله كما زعمت بعض الطوائف الإسلامية.

الشفاعة هي: كما قلنا طلب الخير من الغير للغير، أو كما قال بعضهم هي التوسط للغير لجلب منفعة للمشفوع له.

ويتضح معناها أكثر عندما نعرف أنواعها، فهي تنقسم إلى شفاعة عامة وشفاعة خاصة.

وعامة أي تكون للأنبياء والصالحين ممن اصطفاهم الله.

وخاصة تكون للنبي - صلى الله عليه وسلم - كتعجيل الحساب وتعجيل دخول الجنة ورفع الدرجات في الجنان.

الشافع والمشفوع له، لا بد أن يكونان ممن ارتضاهما الله قال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) فإذا كان المشفوع له ممن يرتضيه الله فكيف بالشافع نفسه.

النقطة الثانية: الشفاعة تكون لمن ارتضى الله.

اتفقت الأمة على أن هناك ستكون للمؤمنين سواءً ستكون للأنبياء أو للنبي خاصة أو للشهداء والصالحين، وقد يكونوا اتفقوا في أنواعها ولكن وقع الخلاف في موضع واحد وهو الشفاعة التي ستكون للعصاة الموحدين سواءً سينالوها بلا دخول في النار أو سينالوها للخروج من النار.

والحق أنه لا شفاعة للعصاة الذين ماتوا بلا توبة.

فلا شفاعة لهم كي لا يدخلوا النار، ولا شفاعة لهم كي يخرجوا من النار، بدليل قوله تعالى: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)، والله لا يرتضي العصاة وإلا لما نهى عن ارتكاب المعاصي وأوجب في بعضها الحدود.

وكذلك قوله تعالى أكبر دليل على ذلك:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۚ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) فهذه الآية تخاطب المؤمنين وتحذرهم أنه لن يجدوا من يشفع لهم إن انحرفوا عن دين الله.

وكذلك قوله تعالى (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) ولفظ الظالم عام يشمل المشرك والموحد العاصي، فإطلاق لفظ الظالم وإن كان سياق الآية في المشركين، فهو يفيد العموم ولا عبرة بخصوص السبب.

القاعدة تقول: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

هناك كذلك الكثير من الروايات ومنها ما أوردناه في الدرس كرواية (يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت رسول الله سليمان بما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً).

فلو كانت هناك شفاعاة من النبي لأهل الكبائر فلماذا قال لأهله هذا الكلام؟

وكذلك رواية القبرين الذين مر النبي من جنبهما وقال : (أنهما يعذبان وما يعذبان في كبير... إلى أن قال أن أحدهما كان يمشي بين الناس بالنميمة والآخر لا يستبرئ من البول) فلماذا لم يقل أنه سيشفع لهما.

كذلك الصحابي الذي قتل في أحد الغزوات، فظن أصحابه أنه شهيد فرد عليهم النبي قائلاً: إن الشملة التي أخذها يوم خيبر ولم تصبها المغنم لتشتعل به في نار جهنم، فلما لم يقل سأشفع له وهو صحابي وخرج غازياً مع النبي فإن كانت هنا شفاعاة من النبي فالصحاباة أولى بها.

الحقيقة كما قلنا أنه لا شفاعاة لأهل الكبائر.

ومن النكت التي تخص هذه المسألة أنه من أراد أن ينال شفاعاة النبي فعليه بفعل الفواحش والمنكرات، فحقيقة نحن نتعجب عندما يأتي شخص ويعتقد أن شفاعاة النبي لأهل الكبائر ويدعو قائلاً: (اللهم ارزقني شفاعاة النبي).

ولماذا الدعاء لنيل الشفاعاة، ما عليك إلا أن تفعل الكبائر وستنال الشفاعاة وانتهى الأمر.

هذا الكلام يلزم من يقولون الشفاعاة لأهل الكبائر الذين ماتوا بلا توبة.

قد يقول قائل أن التائبين غفر الله لهم بناء على وعد الله لهم بقبول توبتهم، فلماذا يحتاجون لشفاعة الشافعين كما تقولون؟

الجواب: هو بيان فضل الله تعالى على التائبين بأن يتقبل توبتهم، وكذلك إظهار لمزية الشافعين على غيرهم وعلو شأنهم، لأننا قلنا أن هؤلاء الذين سيشفعون هم أصفياء الله تعالى ميزهم عن كل عبده، وكذلك لرفع درجاتهم.

وما يدل على ذلك قوله تعالى: (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم).

فرغم أن هؤلاء تائبين متبعين سبيل الله فهم محتاجون إلى دعاء الملائكة والدعاء من جنس الشفاعة.

فالحق في هذه المسألة أنه لا شفاعاة لأهل الكبائر الذين ماتوا بلا توبة، لثبوت دخولهم النار وثبوت خلودهم فيها، ولا عبرة بالروايات المنسوبة إلى النبي كرواية (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) إن لم تقبل التأويل.

الدرس الخامس عشر

القضاء والقدر

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد :
قال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) الحديد ٢٢.

وقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - لعبادة بن الصامت: (إنك لن تجد ولن تؤمن وتبلغ حقيقة الإيمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشره أنه من الله. قال: قلت: يا رسول الله كيف لي أن أعلم خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك فإن مت على غير ذلك دخلت النار).

القضاء والقدر:

هما الركن السادس من أركان الإيمان والإيمان بهما واجب.

والفرق بين القضاء والقدر.

أن القضاء هو :حكم الله وعلمه الأزلي أو إثبات الأشياء في الأزل.

والقدر هو :وقوع أو إيجاد تلك الأشياء.

وقد عرفه شيخنا الخليلي يحفظه الله أن:

القضاء هو :إثبات الأشياء في اللوح إجمالاً.

والقدر هو :إيجادها في المواد تفصيلاً.

وباختصار :

القضاء هو: علم الله الأزلي بالأشياء.

والقدر هو: إيجاد وإيقاع تلك الأشياء.

وقيل هما بنفس المعنى.. والله أعلم

وتقريباً للأفهام.. لو أن شخصاً أحضر دفترًا وقلمًا وكتب في دفتره أنه سيقوم في يوم كذا بالذهاب إلى السوق وشراء بعض الحاجات وهي عبارة عن كذا وكذا.

تسجيله في الدفتر ما سيقوم به يسمى قضاء.

قيامه بعمل ما سجله في الدفتر يسمى قدرا.

هذا وقد يتسائل البعض حول مسألة القضاء والقدر قائلاً :

إن كان كل شيء قد كتب لي فلماذا أتعب نفسي في عمل الطاعات واجتناب المنكرات بما أن مصيري مكتوب قبل أن أخلق؟

وللإجابة على هذا الإشكال يجب أن يتنبه من يسأل مثل هذه الأسئلة. لأنه يخلط بين علم الله وبين كسبه هو نفسه.

هناك فرق ما بين علم الله وبين كسب العبد، فكون أن الله يعلم ما كان وما سيكون قبل خلق الخلق وما سيكتسبه العبد باختياره فهذا من كمالاته سبحانه وتعالى، فאלله سبحانه وتعالى لم يجبر أحداً على اختيار ما يريد، فللعبد مطلق الحرية، فالذي سيختاره بإرادته إما أن يثاب عليه أو يعاقب عليه، الفعل الذي يأتيه العبد مخلوق لله ومكتسب للعبد وعليه يترتب الحكم .

فلا بد أن نفرق بين معنى ما هو في علم الله منذ الأزل ومعنى ما هو مكتسب باختيار العبد، لأنه من كمالات الذات الإلهية إثبات علم الله المطلق بالموجودات.

ونضرب مثلاً على ذلك والله المثل الأعلى:

لو أن شخصاً ولد في عام كذا وبعد خمسة وعشرين سنة اشترى سيارة بقيمة كذا وقد اختارها وفق إرادته. هنا يجب أن تعلم أن الله لم يجبرك على شراء تلك السيارة ونوعها ولونها ودفع قيمتها كون أنه يعلم كسبك لهذا الفعل منذ الأزل وقبل خلق الخلق أنك ستولد في عام كذا وستشترى سيارة كذا بعد سن كذا وبقيمة كذا، فعلمه بما سيقع وخلق له للفعل الذي أتيت به لا يتعارض عقلاً مع كونك اكتسبت أنت الفعل ووقع عليه اختيارك، فهذا من كمالاته تبارك وتعالى، وعلى كسبك يقع الثواب والعقاب لأنه باختيارك.

كونك تعلم أن فلانا سيفعل كذا أو كذا فعلمك به لا يعني أنك أجبرته.

وهذا هو الفرق بين العلم والمعلوم فالعلم هو قبل وقوع الشيء والمعلوم هو عند وقوع الشيء.

والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله علينا.

النقاط..

النقطة الأولى: مفهوم القضاء والقدر والخوض فيهما.

النقطة الثانية: الخلط بين علم الله وكسب الإنسان.

النقطة الثالثة: مذهب الجبرية في القضاء والقدر.

النقطة الأولى: مفهوم القضاء والقدر والخوض فيهما.

اختلف العلماء في تعريف القضاء والقدر على عدة تعريفات، حتى أدى الحال بالبعض إلى نفي خلق الأفعال عن الله.

وذهب آخرون إلى إثبات الجبر في حق الإنسان في أفعاله وفي أقواله، إلى أن وصل الحال في البعض أن نسبوا لله ما لا يليق به من إجبار أهل النار بدخول النار.

ولهذا نجد الإمام الجليل نور الدين السالمي - يرحمه الله - يقول في هذا الأمر:

وبالقضاء نؤمن أيضاً وبالقدر ** ولم يجز اغراقنا فيه والنظر

لأن الإغراق في هذه المسألة قد تسحب الإنسان إلى الكفر والإلحاد إن لم يكن قوي الإيمان.

القضاء والقدر الإيمان بهما واجب، فالإيمان بهما كالإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر، لا يستطيع أن ينكرهما مؤمن، لأن في إنكارهما دخول في الكفر وإنكاراً لصفات الله الأزلية.

وعند النظر في تعريفات القضاء والقدر نجد في مجملها أن القضاء هو علم الله الأزلي بالأشياء، والقدر هو إيجاد تلك الأشياء.

وقد طرحنا مثلاً في الدرس حول هذا التعريف لتقريب الأفهام، فمن أرادة الاطلاع عليه فليرجع للدرس.

هل ثبت القضاء والقدر بالقرآن؟

الجواب: نعم ، وقد أوردنا قوله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)، وهذا الدليل يخرس من يحاول إنكار القدر وإثباته من السنة فقط، ففي الآية إشارة صريحة على علم الله قبل وقوعه.

النقطة الثانية: الخلط بين علم الله وكسب الإنسان.

أولاً.. يجب أن نعلم أن المقصود بالقضاء هو علم الله بالأشياء، وقد يتصور البعض أن معنى (كل شيء مكتوب) بمعنى أن هناك قلماً ودفترًا أو سجلاً حقيقياً وأن الله قد دون كل شيء في ذلك السجل، وهذا الكلام خطأ لأن الله ليس بحاجة لتدوين ما وقع وما سيقع.

والقول بأن كل شيء مكتوب يراد به تعبيراً عن علمه تعالى بما كان وما سيكون وإيجاد هذه الأشياء في اللوح المحفوظ، ولا يراد بها كما يظن البعض أن اللوح المحفوظ عبارة عن سجل أو كتاب.

وحقيقة اللوح المحفوظ الله أعلم بها لأنه في علم الغيب، ولا نخوض في تفاصيله مالم يرد على ذلك دليل، وكيفينا الإيمان به.

وقد يظن البعض ممن يغرقون النظر في القضاء والقدر أن ما كتب لهم خارج عن إرادتهم واختيارهم، فمن كتب له أنه من أهل الجنة فهو في الجنة ومن كتب له أنه من أهل النار فهو في النار، وعلى هذا فهو منقاد ولن ينفلت عن ما كتب له.

وقد يتشكك البعض ويقع في حبال وسلاسل الشيطان ويقتط من رحمة الله ويلحد ويترك الدين والإيمان بحجة أنه بعبادته أو بغيرها في الجنة أو في النار.

وهذا وقع فيه الكثير، نتيجة الخلط الذي وقعوا فيه، ونتيجة جهلهم بأن العلم غير والمعلوم غير، فعلم الله ليس هو المعلوم والقدر ليس هو المقدور، فالله سبحانه وتعالى يحاسب على المقدور.

بمعنى آخر فعل الإنسان فيه وجهان هما: الخلق و الكسب

أما خلق الفعل فله وحده وأما الكسب فهو يخص الإنسان، وهنا يحاسب الإنسان على الكسب لا على خلق الفعل.

لأن الفعل وإن كان الذي أتى به الإنسان فهو غير خارج عن إرادته التي أودعها الله فيه واختياره الحر الذي على إثره يحاسب غير مجبوراً.

فكون أن الله يعلم ما سيقع لهذا الإنسان، لا يعني ذلك أنه أجبره على فعله، وفي نفس الوقت لا يمكن لفعل المخلوق أن يكون خارجاً عن علم الله به، لأن الله علمه أزلي وإن قلنا أنه خارج عن علم الله به فقد وصفناه بالجهل- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

النقطة الثالثة: مذهب الجبرية في القضاء والقدر.

هناك كما قلنا من خاض في القضاء والقدر، فذهب بعضهم إلى القول أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله وإنما هي مخلوقة من فاعلها وسبب قولهم هذا أن الله لا يجوز إضافة الشين والقبیح إليه كالمعاصي مثلاً، فالمعاصي أشياء قبيحة والله عادل.

وقالوا كذلك لا يمكن أن يخلق الله شيئاً ويجازيهم عليه كخلق الكفر مثلاً.

وهذا الكلام باطل عاطل لأن القبيح والشين في اكتسابهما لا في خلقهما والقبح في ما نهى عنه الشرع وليس فقط في ما قبحه العقل.

فإنكار خلق الأفعال لله هو أمر خطير فإن الله تعالى يقول في محكم كتابه: (خالق كل شيء) والأفعال أشياء داخلة في عموم هذه الآية.

وذهبت طائفة أخرى وهي الجبرية إلى القول إلى أن الكسب منفي عن العباد وأن أفعالهم على سبيل الجبر لهم على فعلها، ولا يوجد اختيار في يد العباد على أفعالهم من جهة الكسب.

وهذا الكلام باطل أيضاً، وقد قلنا أن كون الله يعلم بفعل العبد لا يلزم منه أنه أجبره على فعله، ومسألة الاختيار لا يمكن لأي عاقل أن ينفيها عن الشخص، فلا أظن أن الزاني إذا زنى سيكون جبر ولا أظن لمن يأكل الربا سيأكله مجبوراً عليه.

ولا أظن السارق عندما يسرق يكون مجبوراً على سرقة الناس، ولا أظن السباب والمغتتاب والفتان والكذاب والقاتل العمد ظلماً سيكون مجبوراً على فعل هذه المعاصي.

باختصار كما وضعنا أن فعل الإنسان فيه وجهان:

الوجه الأول: هو الخلق وهو الله وحده

الوجه الثاني: هو الكسب وهو للعبد

والعبد يعاقب على كسبه الذي أوقعه باختياره وبه يكون الثواب أو العقاب.

قال تعالى: (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت).

وقال تعالى: (كل نفس بما كسبت رهينة).

الدرس السادس عشر

الولاية والبراءة والوقوف

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد:
موضوعنا سيدور حول مبدأ لا يسع جهله وعقيدة هي من أهم المبادئ، وهي عقيدة الولاية والبراءة والوقوف، وسنوضح هذا المبدأ بالتفصيل.

تنقسم الولاية والبراءة إلى:

ولاية الجملة وبراءة الجملة.

ولاية الأشخاص وبراءة الأشخاص.

أما ولاية الأشخاص وبراءة الأشخاص تكونان إما على:

الحقيقة أو الظاهر.

معنى الولاية:

هي المحبة في الله لكل تقي طائع لله ويترتب على ذلك النصرة والدعاء.

أما البراءة:

هي البغض في الله لكل عاصي ويترتب على ذلك عدم النصرة وعدم الدعاء لمن وجبت فيه البراءة.

أما الوقوف:

هو الامتناع أو الإمساك عن المحبة أو البغض لعدم وضوح حال الشخص وعدم ثبوت ما يوجب ولايته أو ما يوجب البراءة منه لجهل حاله.

أولاً: ولاية الجملة:

وهي فرض وأول ما يجب على الإنسان من صنف الولاية، أن تتولى كل أولياء الله من الأولين و الآخرين إلى يوم الدين دون تعيين شخص بعينه سواء ذكروا في كتاب الله وسنة نبيه الصحيحة أم لم يذكروا.

ثانياً: براءة الجملة:

وهي فرض وأول ما يجب على الإنسان من صنف البراءة، أن تتبرأ من كل أعداء الله من الأولين والآخرين إلى يوم الدين دون تعيين شخص بعينه سواء ذكروا في كتاب الله وسنة نبيه الصحيحة أم لم يذكروا.

ثالثاً: ولاية الحقيقة:

هي أن تتولى كل من ثبت فيه نص قطعي الثبوت والدلالة في القرآن أو السنة أنه من أهل السعادة كالرسل والأنبياء ومريم أبنت عمران وامرأة فرعون وغيرهم .

رابعاً: براءة الحقيقة:

هي أن تتبرأ من كل من ثبت فيه نص قطعي الثبوت والدلالة في القرآن والسنة على أنه من أهل الشقاء كفرعون وامرأة نوح وامرأة لوط وابن نوح وغيرهم.

خامساً: ولاية الظاهر وبراءة الظاهر:

وتكونان على حسب حال الشخص، إن ظهر لك صلاحه وثبت لك ذلك توليته على حسب الظاهر أي على حسب ما ظهر لك دون أن تقطع له بالجنة. وهذه الولاية تثبت بطرق ثلاث.

1- وهي المعاينة : أي المشاهدة بالعين على صلاحه.

2- شهادة العدلين : أن يشهد عليه عدلين أنه من أهل الصلاح.

3- الشهرة : يشتهر شهرة حق أنه من أهل الصلاح.

أما إن ظهر لك انحرافه وذلك بارتكابه المعاصي وكان مصراً عليها وثبت عليه ذلك تتبرأ منه على حسب الظاهر دون أن تقطع له بنار، وإن مات على ظاهر ما كان عليه ولم يثبت لديك صلاحه.

وهذه البراءة تثبت بطرق أربع وهي :

1-المعاينة: أي المشاهدة للمعصية من العاصي.

2-شهادة عدلين: أنه من العصاة.

3-الشهرة: يشتهر شهرة حق أنه من العصاة.

4-الإقرار: وهو أن يقر العاصي على نفسه بالمعصية.

هذه هي الطرق التي تثبت بها ولاية وبراءة الظاهر، فهي مشروطة لإثباتها، ولا يحق لمن يتولى أو يتبرأ بالظاهر أن يقلد فيهما، فما ظهر لي يمكن أن يخفى عنك، ولا يحق لأحد أن يأتي بها إلا إذا ثبت لديه موجب الولاية أو موجب البراءة وذلك بالطرق الثلاثة للولاية والطرق الأربعة للبراءة .

اعلم إن ولاية الله للعبد وبراءة الله منه هي علمه بمصيره وعلى هذا فهي لا تتغير، لأن علمه تعالى مطلق أزلي، فقد يكون هذا العبد في ظاهر أفعاله عندنا في

البراءة ولكنه عند الله من الأولياء لعلمه بخواتيم عباده ومصيرهم، وقد يكون في ظاهر أفعاله عندنا في الولاية وهو عند الله من الأشقياء لعلمه تعالى بحاله وحال مصيره.

تنبيه.. منكر ولاية وبراءة الحقيقة وكذلك الجملة يعتبر مشرك، أما منكر ولاية وبراءة الظاهر يعتبر فاسق والسبب هو الثبوت القطعي لولاية وبراءة الحقيقة.
والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله علينا.

النقاط باختصار...

النقطة الأولى: الولاية والبراءة معناهما والغاية منهما.

النقطة الثانية: أقسام الولاية والبراءة.

النقطة الثالثة: شروط تحقق ولاية وبراءة الأشخاص على الظاهر.

النقطة الأولى: الولاية والبراءة معناهما والغاية منهما.

الولاية في الشرع كما قلنا هي المحبة في الله لكل طائع لله، وأما البراءة هي كما قلنا البغض في الله لكل عاصي سواء كان مشرك أو موحد.

المحبة هنا ليست شيء شخصي كما يفعل البعض مع الآخرين وإنما هي تتمثل في كون هذا المسلم طائعاً لله في ما أمره بإتيانه وما أمره باجتنابه فترتب على هذا الأمر الدعاء له بالآخرة ونصرته عند الحاجة.

كذلك البغض هنا ليس لأمر شخصي وإنما هو بغض المعصية التي أتى بها ذلك العاصي لأنه خالف ما أمره الله به سواء كانت المعصية ترك فريضة أو ارتكاب معصية، ويترتب على هذا عدم الدعاء له وعدم النصرة.

ماهي الغاية من الولاية والبراءة؟

الغاية هي التوصل إلى رضوان الله تعالى وذلك بأن نتولى من يتولاه، ونعادي من عاداه، وكذلك هي ألفة وتماسك بين المسلمين ومحافظة على الدين واستمراره.

عقيدة الولاية والبراءة هي في ذاتها تنفيذاً لأمر الله، فنجد في القرآن أن الله يقول أنه ولي للمطيع وعدو للعاصي، يقول تعالى: (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور * والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات)

فنحن نوالي من تولاه الله طاعة له، ونعادي من عاداه الله كذلك طاعة له، ومعنى ولاية الله لعباده هي توقيفه إياهم لطاعته وإعانتهم ونصرتهم على أعدائهم، ومعرفته بمصائرهم.

الأمة الإسلامية اجتمعت على الولاية والبراءة بالجملة لكنهم اختلفوا في ثبوت البراءة بالتفصيل في الأشخاص،

ومذهبنا نحن يقول بثبوتها بالتفصيل في الأشخاص، والدليل أن العلة التي من أجلها وجبت البراءة في الجملة هي الإخلال بشيء من أوامر الله أو ارتكاب شيء من نواهيه.

فإذا وجدت أحد هذه العلتين في شخص بعينه وجب إجراء الحكم عليه كما في براءة الجملة لوجود نفس العلة الجامعة بينهما.

النقطة الثانية: أقسام الولاية والبراءة.

الوقوف كما قلنا هو الإمساك والامتناع عن الحكم في من جهلت حاله أهو مطيع أم عاصي، والوقوف قسم إلى خمسة أقسام وكلها مختلف فيها ما عدى وقوف الدين، ووقوف الدين هو كما قلنا الإمساك عن الحكم في من جهل حاله. بمعنى آخر أنه لا يُتولى ولا يُبرأ منه، حتى تثبت حاله إن كان مطيع أم عاصي.

أما الولاية والبراءة تنقسم إلى ولاية وبراءة الجملة وولاية وبراءة الأشخاص.

وأما ولاية وبراءة الجملة هي كما قلنا تولي كل من تولاها الله والبراءة من كل من برأ منهم، من الأولين إلى يوم الدين، وهذه الولاية والبراءة هي عقيدة لا يسع أحد جهلها عند قيام الحجة ولا يسعه إنكارها كذلك.

أما ولاية وبراءة الأشخاص فهي إما بالحقيقة وإما بالظاهر، ومعنى قولنا بالأشخاص أي كل شخص بعينه.

أما الولاية والبراءة بالحقيقة فهي كما قلنا لا تثبت إلا بنص من كتاب الله أو من سنة رسول الله الصحيحة، لأنها شهادة على سعادة الشخص بعينه وشهادة على شقاء الشخص بعينه، وشهادة القرآن والسنة الصحيحة على سعادة أو شقاء شخص بعينه لا يمكن ردها لأنها حقيقة وليست ظن، فالشاهد هو الله وهو خير الشاهدين.

فالأنبياء مثلاً ممن شهد لهم القرآن والسنة على سعادتهم وهناك أنبياء شهد لهم القرآن بأسمائهم حقيقة أنهم من أهل السعادة كنبيينا محمد عليه الصلاة والسلام وسيدنا إبراهيم ونوح وزكريا وعيسى وغيرهم نطق القرآن بأسمائهم وهذا يجري على جميع الأنبياء والمرسلين.

وكذلك هناك من شهد لهم القرآن بأسمائهم أو بكنيتهم أنهم من أهل الشقاء كفرعون وهامان وقارون وأبو لهب وغيرهم، فهؤلاء كلهم في براءة الحقيقة لأن القرآن نطق بأسمائهم أو بكنيتهم أو أشار إليهم وهكذا.

أما ولاية وبراءة الأشخاص على الظاهر فهي تبني على ما ظهر من صلاح الشخص وانحرافه، يعني لا يوجد فيهم نص قرآني أو سنة، فإن ظهر صلاحه وجبت الولاية فيه، وإن ظهر انحرافه وذلك بارتكابه معصية وأصر عليها وجبت البراءة منه.

وفي ولاية وبراءة الظاهر لا يحكم للشخص بجنة ولا نار، لأنها ولاية وبراءة مبنية على علم الإنسان، بعكس ولاية وبراءة الجملة وولاية وبراءة الحقيقة فهي مبنية على علم الله، فهنا أنت تتولى وتتبرأ بناءً على علم الله وفي براءة وولاية الظاهر تتولى وتتبرأ بناءً على ما ظهر لديك أي على علمك.

النقطة الثالثة: شروط تحقق ولاية وبراءة الأشخاص على الظاهر.

ولاية وبراءة الأشخاص على الظاهر لها شروط لتحقيقها قد ذكرناها في الدرس، فأما الشروط في الولاية فهي ثلاثة:

وهي المعاينة وهو أن يشاهد على صلاح وحسن السيرة، أو أن يشهد عليه عدلين أنه من أهل الصلاح وقيل يكفي عدل واحد في الولاية وذلك حسن ظن بالمسلم، أو يشتهر شهرة حق أنه من أهل الصلاح.

أما شروط تحقق البراءة على الظاهر فهي نفسها التي في الولاية وهي المعاينة وهي أن يشاهده يرتكب معصية لا يوجد له عذر في ارتكابها فإن شاهده على المعصية يستتبعه فإن تاب تولاها وإن أصر تبرأ منه.

أو يشهد عليه عدلين أنه ارتكب كبيرة وتكون شهادتهما متوافقة على نفس المعصية، لا أن يشهد الأول عليه مثلاً بالزنا ويشهد عليه الثاني بشرب الخمر.

أو أن يقر على نفسه أنه ارتكب كبيرة ولم يتب منها كأن يفتخر أو يكون مسروراً بارتكابها، أما إن كان إقراره من باب الندم والتأسف على ارتكابها فلا يبرأ منه لأنه بندمه وتأسفه هو تائب منها.

أو أن يشتهر شهرة حق أنه ارتكب كبيرة ويلزم في الشهرة أن تكون محقة وليست باطلة مغرضة، فمثلاً اشتهر شخص في قريته أنه ارتكب كبيرة الربا ولم يتب منها توبة نصوحة وشهد عليه أهل قريته وكانت شهادتهم متفقة فهنا تثبت الشهرة وهي محقة.

أما إذا قالت طائفة من قريته أنه ارتكب معصية وقالت طائفة أخرى من نفس القرية أنه لم يرتكب، فهنا تسقط شهرة الحق.

أو أن تقول طائفة من قريته أنه مرتكب كبيرة وتشهد عليه طائفة من خارج قريته أنه غير مرتكب لكبيرة أو العكس، فهنا لا تقبل الشهرة من هم خارج قريته.

لا يشترط في شرط العدلين أن يكونا عالمين ويكفي أن العدلين من أهل الصلاح، وأما إن كانا من الفساق فلا يؤخذ بشهادتهما لأنهما ليسا ثقة وغير مأهلين ليشهدا في أمر مختص بالدين.

ولاية وبراءة الحقيقة والجملة قلنا لا تتغير ولا تتبدل لأنها في علم الله لا تتغير ولا تتبدل، وأما الظاهر فمبنية على علم المتولي والمتبرئ، فلا يحكم على من تتولاه أو تتبرأ منه بجنة أو نار لأن الجنة والنار بيد الله وحده.

بل قيل إذا رأيت الشخص ميتاً وبیده كأس الخمر فلا تحكم عليه بالنار لأنه لعله قد شربها وهو مصاب بالجنون والمجنون مرفوع عنه القلم، فقد يكون هذا الشخص في علم الله من السعداء ولكن في علمك أنت من العصاة.

فإن كنت تتبرأ من شخص بناءً على ثبوت موجب البراءة منه وهو في علم الله من السعداء فأنت تتولاه في ولاية الجملة، لأنك تتولى من تتولاه الله جملة من الأولين إلى يوم الدين، فهذا لا يتصادم مع الولاية والبراءة بحكم الظاهر.

لأنك أنت مكلف بالحكم بالظاهر على الناس، وهذا الأمر وقع للنبي كما في حديث الحوض الذي يرده الناس يوم القيامة فيبعدون بعض أصحابه عن الحوض فيقول النبي أصحابي أصحابي فيقال له أنت لا تدري ما أحدثوا بعدك..أو كما قال _عليه الصلاة والسلام_ .

وفي هذا الحديث دلالة على أن النبي كان يتولا هم على الظاهر وعلى حسب علمه بهم، ولكنهم في علم الله كانوا من الأشقياء.

الدرس السابع عشر

الإيمان بالملائكة والكتب والرسل جملة وتفصيلا

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد:
مما يجب على الإنسان اعتقاده هو الإيمان بالملائكة والكتب والرسل جملة وتفصيلا، ومن أنكر واحداً من هذه العقائد الثابتة بالكتاب والسنة فهو واقع في كفر الشرك خارجاً من ملة الإسلام لثبوتها منصوصة عليها.

أولاً: الملائكة:

هم من الغيبيات وليس من العالم المشاهد، وجب الإيمان بوجودهم وإن لم نشاهدهم خلقوا من نور كما في الحديث ومن صفاتهم أنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتعبون ولا ينامون ولا يوصفون بالإناث ويتشكّلون على صور يعبدون الله ويطيعونه وهم قسمان قسم للعبادة وقسم لخدمة ما أمر الله به، فهم مخلوقات صفاتهم تختلف عن صفات المخلوقات الأخرى ورغم تباينهم هذا عن باقي المخلوقات فلا يجب أن يوصفوا بصفات الربوبية والإلهية.

ثانياً: أنبياء الله ورسله:

وجب الإيمان بهم وبعصمتهم ومن أنكر واحداً منهم بعد قيام الحجة فيه أو فرق في إيمانه بين رسول وآخر فقد كفر كفر شرك.

ولهم صفات واجبة ومستحيلة، فالواجبة كالصدق والأمانة والعقل والضبط والفظانة.

والمستحيلة هي أصداد هذه الصفات، وهناك صفات جائزة أي ممكنة كالنوم والأكل والشرب وغيرها من المباحات.

ثالثاً: الكتب:

وجب أيضاً الإيمان بما أنزل من الكتب بالإجمال إلا من ثبت إنزال كتاب عليه فيجب تعيينه في الإيمان به وبالكتاب الذي أنزل عليه كسيدنا محمد الذي أنزل عليه القرآن وعيسى الذي أنزل عليه الإنجيل وموسى الذي أنزل عليه التوراة فمن ثبت بنص قرآن أو حديث متواتر قطعي على نزول كتاب عليه فيجب تعيينه.

هذا ومن المعلوم أن هذه الكتب كما قلنا في درس مسألة خلق القرآن هي كلام الله منزلة ومخلوقة لله سبحانه وتعالى وليست قديمة وليست صفة لله..

قال تعالى: (بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ) فالقرآن شيء منفصل عن الله محفوظ في اللوح فلا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، وهذا دال على أنه شيء مخلوق محفوظ منزل مكنون أوقع الله أفعاله عليه والله لا يوقع أفعاله إلا على الشيء المخلوق.

والحمد لله على تمام فضله، فما كان من صواب فمن فضل الله علينا.

النقاط:

الأولى: الرسل والأنبياء.

الثانية: الإيمان بالملائكة والكتب.

كما هو واضح من عنوان الدرس، سيكون هذا الدرس هو خاتمة دروس الدورة.

النقطة الأولى: الرسل والأنبياء.

من العقائد التي يلزم المكلف عند قيام الحجة عليه بها هي الإيمان بجواز بعث الأنبياء والرسل، بعثهم الله مبشرين ومنذرين، يهدون العباد إلى الصراط المستقيم.

وكذلك يلزمه الاعتقاد بالمعجزات التي أيدت أو قرنت برسالتهم كالمعجزات التي ذكرت للنبي - عليه الصلاة والسلام - وبقية الأنبياء التي ثبتت في القرآن أو السنة.

والمعجزة هي: أمر خارق للعادة يجريه الله على يد مدعي النبوة تأييداً لدعوته وتصديقاً لرسالته.

وأما ما يحدث للأنبياء قبل إرسالهم فيسمى إرهابات وهي: الإمارات والعلامات والمقدمات التي تسبق ميلاد النبي أو بعد ميلاده ولكن قبل إرساله وتكون خارقة للعواديات.

هناك كذلك الكرامات وهي: الأمور الخارقة للعواديات تجري على يد من هم ظاهرٌ صلاحهم دون أن يكونوا أنبياء.

وهناك ما يسمى بالمعونة وهي: الأمور التي تجري لأحد من عامة المسلمين حاله مستوراً دينياً.

وهناك ما يسمى بالاستدراج وهو: ما يجري على يد الفاسق العاصي والعياذ بالله.

ونستخلص من هذا كله:

أن هناك ما هو مستحيل عقلاً وما هو مستحيل عادة.

فالمستحيل عقلاً هو: كاجتماع الضدين أو وجود جسم في مكانين مختلفين أو أن يكون الابن أكبر سناً من أبيه فهذه الأمور تتناقض مع بديهيات العقل البشري.

أقصد بوجود الجسم في مكانين مختلفين أي وجود نفس الشخص في مكانين مختلفين.

والمستحيل عادة: هو ما لا يتناقض مع بديهيات العقل ولكن العادة جرت على خلافه عند حصوله، كالمعجزات والكرامات، ومن أمثلة ذلك كأن يقول أحد رأيت إنساناً يطير فهذا ليس مستحيل عقلاً وإنما جرت العادة على أن الإنسان يمشي.

والمعجزات مثلاً كمعجزة سيدنا إبراهيم عندما رمي به في النار وكانت له برداً وسلاماً، فهذا الأمر ليس من المستحيلات عقلاً، ولكن جرت العادة على أن النار تحرق كل من يرمى فيها،

وكذلك معجزة إحياء الموتى وعصا موسى فكلها ليست من المستحيلات عقلاً ولكن جرت العادة بخلاف حدوثهن.

الأنبياء والرسول لهم صفات واجبة لهم وصفات مستحيلة عليهم، أما الصفات الواجب لهم هي كالصدق والتبليغ والأمانة والعقل والضبط والفتانة والمستحيلة هي ضد ما ذكرنا.

سؤال: ما الفرق بين النبي والرسول؟

هناك خلاف في التفريق بين النبي والرسول، ومن ما قيل أن النبي هو من أوحى له بشرع ولم يؤمر بتبليغه، فإن أمر بتبليغه أصبح نبياً ورسولاً، ومن ما قيل أن النبي هو من أمر بتبليغ شرع من قبله كأنبياء بني إسرائيل أمروا بتبليغ شرع موسى عليه السلام، والرسول من أمر بتبليغ بشرع جديد.

والظاهر من هذا كله أن كل نبي رسول وليس كل رسول نبي، فالرسالة ليست مقيدة بتبليغ الأنبياء لها، لأن كل مكلف مأمور بتبليغ رسالة نبيه - عليه الصلاة والسلام - ، وكذلك الملائكة يوصفون بالرسول لأنهم يبلغون ما يؤمرون به وفي قوله تعالى دلالة على ذلك (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). والله أعلم

سؤال: هل الأنبياء معصومين من الخطأ؟

الأنبياء والرسول معصومين بعد النبوية من الكبائر والصغائر والدليل على ذلك هي الآيات التي تثبت التأسي بالأنبياء كقوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقوله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة).

فهذه التزكية تقتضي عصمتهم من الكبائر والصغائر فالتأسي والأمر بالأخذ بما جاء به النبي يقتضي أن يكون موافقاً دينياً وشرعياً وأخلاقياً.

وقيل إنهم ليسوا معصومين قبل النبوة لعدم وجود الدليل ولكن أفعالهم ليست كأفعال غيرهم مما يخدش الحياء كارتكاب الفواحش مثلاً.. والله أعلم وأحكم.

الأنبياء فيهم تفضيلٌ بعضهم على بعض من جهة، وقد ذكر في كتاب الله تفضيل بعضهم على بعض، قال تعالى: (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا)، وأفضل الأنبياء سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - ، ولكن من جهة الإيمان هم متساوين في ذلك فلا يجوز تفضيل نبي على غيره من جهة الإيمان.

من جهة نبينا محمد يلزمنا كذلك الإيمان به تفصيلاً، وذلك بالإيمان به وبرسالته وما تشمل من أوامر ونواهي، والإيمان كذلك بالكتاب الذي أنزل عليه.

أما بقية الأنبياء والرسول فيكفي الإيمان بهم جملة، وتعين من ذكر باسمه في القرآن والسنة الصحيحة.

تعيين بمعنى كل نبي بعينه وهذا ما نقصده بتفصيلاً.

النقطة الثانية: الإيمان بالملائكة والكتب.

أولاً: الملائكة

وهم كما قلنا أجسام لطيفة نورانية أي مخلوقة من نور وقيل من غيره، من صفاتهم أنهم مغايرون عن البشر والدواب والجن لا يشبهون بقية المخلوقات فلا يوصفون بلحم ولا شحم ولا عظم كالbشر والدواب قادرون على أن يتشكلوا بمختلف الأشكال ومنها أشكال البشر، وهكذا ظهروا على الرسل.

والملائكة قسمان قسم بما يسمونهم العلويون وهم للعبادة (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وقسم آخر يفعلون ما يؤمرون وهو خدمة ما يأمر به الله تعالى من تدبير وحساب وعقاب وغيرها من الأوامر، ولا يجوز أن يوصفوا بالذكورية أو الإناث.

هذا ولن نزيد في ما قلنا حول الملائكة كي لا نقع في المحذور لأن أمرهم في علم الغيب ونحن مسلمون ومؤمنون بهم معتقدون بوجودهم اعتقاداً جازماً مثبتون لهم ما أثبتته الله تعالى لهم وكفى.

وا يلزمنا الإيمان بهم جملة، والإيمان بمن ذكره الله من الملائكة باسمه تفصيلاً وتعييناً.

تنبيه..

هناك روايات كثيرة جاءت حول الملائكة وهي موضوعة، فلينتبه من تقع بين يديه مثل هذه الروايات.

ثانياً وأخيراً: الإيمان بالكتب.

وهو الإيمان بما أنز من الكتب على أنبيائه ورسله إجمالاً وتعييناً لمن ذكر باسمه كالتوراة والإنجيل وغيرها والإيمان بالقرآن تفصيلاً بما جاء فيه من أوامر ونواهي وقصص ومواعظ وحكم وأمثال وبلاغة وحدود وأحكام ومعاني، والإيمان بحروفه وكلماته وآياته وأجزائه وأحزابه